الباب الأول

الشفاعة

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

تعريف الشفاعة وأهميتها وأنواعها

الفصل الثاني

حكم الإيمان بثبوت الشفاعة وأدلتها

الفصل الثالث

أقسام الشفاعة وأحكامها

الفصل الأول

تعريف الشفاعة وأهميتها وأنواعها

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: تعريف الشفاعة لغة وشرعاً وأهميتها، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : الشفاعة لغة .
- المطلب الثاني : الشفاعة شرعاً .
- المطلب الثالث : أهمية الشفاعة .

المبحث الثاني : الفرق بين التوسل والاستغاثة والشفاعة ، وفيه خمسة مطالب :

- المطلب الأول : التوسل لغةً وشرعاً .
- المطلب الثاني : أنواع التوسل وأحكامه .
- المطلب الثالث : الاستغاثة لغةً وشرعاً .
- المطلب الرابع : الاستغاثة المثبتة في الكتاب والسُّنَّة والمنهي عنها .
- المطلب الخامس : الفرق والعلاقة بين الشفاعة والتوسل والاستغاثة .

المبحث الثالث : الشفاعة في أمور الدنيا ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : الشفاعة المباحة .
- المطلب الثاني : الشفاعة المحرمة .
- المطلب الثالث : حكم الإستجابة لطلب الشافع .

المبحث الأول

تعريف الشفاعة لغة وشرعاً وأهميتها

قبل التعرض لبيان حكم الشرع في مسائل الشفاعة والتوسل والاستغاثة يجدر التنبيه على نقطة هامة جداً تتعلق بالمعاني التي استعملت فيها هذه الألفاظ في هذه المواضع.

ذلك أن كلاً من لفظ الشفاعة والتوسل والاستغاثة قد ورد ذكرها في القرآن والسُّنَّة وكلام الصحابة واستعملت لمعاني معينة.

ولكن أهل البدع والأهواء أحدثوا اصطلاحات ومعاني لهذه الألفاظ خلافاً لما كانت تستعمل فيه من معان في خطاب الشرع وعرف الصحابة آنذاك، قاصدين بذلك استعمال الأدلة الشرعية بما يوافق أهواءهم وأغراضهم، ومن ثم لبّسوا على الناس وأفهموهم أن تلك الألفاظ لم ترد إلا لتلك المعاني التي أحدثوها هم، وهذا التلاعب بمعاني تلك الألفاظ هو الذي سهل على أهل البدع استعمال تلك النصوص في حججهم وسهل على عامة الناس تقبل تلك البدع لظنهم، أن تلك النصوص دالة على تلك المعاني الباطلة.

ولذا كان من الواجب بيان الحق في هذه المسائل، وأن نبين المعنى الشرعي لتلك الألفاظ ونحذر من المعاني المبتدعة المحدثة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [1] ـ رحمه الله ـ: «والألفاظ الشرعية لها حرمة،

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ المجتهد المطلق المفسر شيخ الإسلام .. أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن محمد بن تيمية الحراني الدمشقي، ولد بحران سنة ٦٦١هـ، كان المدافع القوي عن العقيدة الإسلامية وتصدى لأهل البدع حتى سجن عدة مرات، ومات معتقلاً في قلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ. بلغت مصنفاته ثلاث مائة مجلد منها: (العقيدة الواسطية والحموية والتدمرية) و (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) و(التوسل والوسيلة) و(السياسة الشرعية) و(الفتاوى) وغيرها. انظر: تذكرة الحفاظ/للذهبي (٤ / ١٤٩٦ وما بعدها) : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون، شذرات الذهب/لابن العماد الحنبلي(ج٦ / ٨٠) المجلد الثالث ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون، طبقات الحفاظ/للسيوطي (ص٥٢٠) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، الأعلام / للزركلي (١ / ١٤٤) ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ ط السادسة (١٩٨٤م).

ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني.

فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك ، فيثبت ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله » (١) .

وقال ـ رحمه الله ـ : « ومن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي ﷺ ، وعادتهم في الكلام وإلا حرف الكلم عن مواضعه ، فإن كثيراً من الناس ينشأ على اصطلاح قوم وعادتهم في الألفاظ ، ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه ، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك .

وهذا واقع لطوائف من الناس من أهل الكلام والفقه والنحو والعامة وغيرهم .

وآخرون يتعمدون وضع ألفاظ الأنبياء وأتْباعهم على معان أُخر مخالفة لمعانيهم ، ثم ينطقون بتلك الألفاظ ، مريدين بها ما يعنونه هم ، ويقولون إنا موافقون للأنبياء » (٢) .

« ولفظ الشفاعة ، والتوسل ، والاستغاثة دخل فيها من تغيير لغة الرسول ﷺ وأصحابه ، ما أوجب غلط من غلط عليهم في دينهم ولغتهم » (٣) .

فبناءً على ما تقدم لابد أن نبين مراد الشارع بألفاظ الشفاعة ، والتوسل ، والاستغاثة ليتضح ما أثبته الشارع من المعاني وما نفاه منها حتى يتبين الحق من الباطل ، وإزالة اللبس عن كثير من الناس الذين يريدون الحق فبها يمكن فهم النصوص وفق مراد الله سبحانه ورسوله ﷺ .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢ / ١١٣- ١١٤) ، بتصرف.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ـ تحقيق / ربيع بن هادي المدخلي ص١٥٢-١٥٣)ـ مكتبة لينة للنشر والتوزيع ـ دمنهور ـ مصر ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٩٨م) .

(٣) المصدر السابق (ص١٥٨) .

المطلب الأول

الشفاعة لغة

الشفاعة لغةً: ماخوذة من الشفع وهو ضد الوتر ، لأن المشفوع له صار شفعاً بالشَافِع . فالشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين ، من ذلك الشفع خلاف الوتر[١] .

فالشفع : خلاف الوتر ، تقول : كان وتراً فشفعته شفعاً[٢] .

يقال : شفع لي يَشْفَع شفاعةً وتشفَع : طلب .

والشفيعُ : الشافع ، والجمع شفعاء .

واستشفع بفلان على فلان وتشفع له إليه فشفعه فيه .

وقال الفارسي : استشفعه طلب منه الشفاعة أي قال له كن لي شافعاً .

وفي التنزيل قوله تعالى : ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا** ﴾ [النساء : ٨٥] .

وروي عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قول الله تعالى : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ [البقرة:٢٥٥] . قال : الشفاعة الدُّعاءُ هاهنا[٣] .

والشفاعة : كلام الشفيع للملِكِ في حاجة يسألها لغيره .

وشَفَعَ إليه : في معنى طلب إليه .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ـ تحقيق / عبدالسلام محمد هارون (٣ / ٢٠١) ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ط الثانية (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .

(٢) الصحاح للجوهري ـ تحقيق / أحمد عبدالغفور عطار(٣ / ١٢٣٨) دار العلم للملايين ـ ط الثالثة(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٨ / ١٨٤) مادة شفع ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

والشَّافعُ : الطالب لغيره يستشفع به إلى المطلوب .

وتقول : تشفعت لفلان إلى فلان فشفّعني فيه ، واسم الطالب شفيع .

وقال الأعشى :

واستشفَعَتْ من سراة الحيِّ ذا ثقة فقد عصاها أبوها والذي شفعا [١]

واستشفعته إلى فلان أي سألته أن يشفع لي إليه ، وتشفعت إليه في فلان فشفعني فيه تشفيعاً .

ومنه القول:

فككت عدًّيا كُلّها من إسارها فافضلّ وشفعني بقيس بن جَحْدَر [٢]

ومنه قوله : « شفع فلانٌ إلى الأمير في فلانٍ شفاعة » [٣] .

ويقال : شفع يشفع شفاعة : فهو شافع وشفيع. والمشفِّع : الذي يقبل الشفاعة ، والمشفَّع : الذي تقبل شفاعته [٤] .

وقال الراغب الأصفهاني ـ رحمه الله ـ من المفردات عن قول الله تعالى : ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا** ﴾ .

أي من أنضم إلى غيره وعاونه وصار شفعاً له أو شفيعاً في فعل الخير والشر فعاونه وقواه ، وشاركه في نفعه وضره .

وذكر أن الشفاعة : الإنضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ، تحقيق ومراجعة / عبد السلام محمد هارون ـ محمد علي النجار ٤٣٦ ـ ٤٣٧) ـ الدار المصرية للطباعة والترجمة ط بدون (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م) .

(٢) لسان العرب لابن منظور (٨ / ١٨٤) مادة شفع .

(٣) شمس العلوم / لنشوان الحميري ـ تحقيق د / حسين العمري وغيره (٦ / ٣٥٠٥) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ دمشق ـ سورية ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م) .

(٤) النهاية في غريب الحديث والاثر / لابن الأثير ـ تحقيق د / محمود محمد الطناحي / وطاهر أحمد الزاوي (٢ / ٤٨٥) دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) .

انضمام من هو أعلى حُرمة ومرتبة إلى من هو أدنى[١] .

وقال الإمام السفاريني[٢] ـ رحمه الله ـ في بيان ذلك : « والحق أنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر ، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له »[٣].

فيتلخص مما تقدم : أن أصل كلمة (الشفاعة) تدل على معنى ضم الشيئين ومقارنتهما وهي مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر .

وأنها بمعنى الدعاء ، والطلب .

وأن الشافع هو صاحب الشفاعة التي يطلبها لغيره ، وهو المشفوع له ، ويسمى شفيعاً ، وإن قبلت شفاعته فهو مشفَّع .

وأن المشفوع إليه هو من تطلب منه الشفاعة ، فإن قبلها فهو مشفِّع .

وأن الشفاعة إذاً : الانضمام إلى آخر من أجل نصرته .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ـ تحقيق / محمد سيد كيلاني (ص٢٦٣) ـ كتاب الشين ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

(٢) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، شمس الدين ، أبو العون : عالم بالحديث والأصول والأدب ، محقق . ولد سنة ١١١٤هـ في سفارين (من قرى نابلس) ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها . وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى ، وتوفي فيها سنة ١١٨٨هـ وعمره ٧٤ سنة ، من تصانيفه كشف اللثام شرح عمدة الأحكام ، ولوامع الأنوار البهية ، وغيرها . انظر : الأعلام (٦ / ١٤) معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٣ / ٦٥) برقم١١٧٣١ / مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م) ، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة / لمحمد بن عبدالله بن حميد النجدي .

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ـ تعليق الشيخ / عبدالرحمن أبابطين ،وسليمان بن سحمان (٢ / ٢٠٤) المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م) .

المطلب الثاني
الشفاعة شرعاً

الشفاعة في الاصطلاح الشرعي :

تتقارب مع المعنى اللغوي (الدعاء،والطلب) وقد ورد عن أهل العلم تعاريف متعددة:

فقيل الشفاعة : (هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم) [١] .

✿ وقيل في تعريفها : (هي سؤال الخير للغير) [٢] .

✿ وقيل في تعريفها:وأما في الشرع فهي التي يراد بها معناها الواضح الذي ورد به الشرع مخبراً عنه،ومبيناً أمره مما يحصل في الدار الآخرة، وهي طلب الرسول ﷺ أو غيره من الله في الدار الآخرة حصول منفعة لأحد من الخلق أو دفع مضرة عنه)[٣].

والشفاعة لا تنحصر في درء المفاسد أو في جلب المصالح ، فحقيقتها لايختص بواحد منها ، بل يتعلق بأحدهما تارة ، وبالآخر تارة أخرى .

وقال الإمام القرطبي [٤] **ـ رحمه الله ـ :** « فالشفاعة هي ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك ، فهي على التحقيق إظهارٌ لمنزلة الشفيع عند المشفع ، وإيصال المنفعة إلى المشفوع له » [٥] .

وقيل في تعريفها : « هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة » [٦] .

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ـ لابن الأثير ـ تحقيق / محمود محمد الطناحي ، وطاهر احمد الزاوي (٢ / ٤٨٥).

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفارينى (٢ / ٢٠٤) .

(٣) الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار ـ د / غالب بن علي عواجي (١ / ٢٤٣ - ٢٤٤) دار لينة لنشر والتوزيع (مطابع الفاروق الحديثة)ـ دمنهور ـ مصر،ط الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، وانظر ص٢٣ نفس المصدر.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي، الإمام ، المفسر، الفقيه ، من مصنفاته :(الجامع لأحكام القرآن في التفسير، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) وغيرها ، توفي سنة (٦٧١هـ) في (منيت ابن خصيب في شمال أسيوط ، بمصر) . انظر : شذرات الذهب / لابن العماد)ج٥ / ٣٣٥) المجلد الثالث ، الأعلام / للزركلي (٥ / ٣٢٢) .

(٥) الجامع لاحكام القرآن /للقرطبي(٥ / ٢٩٥)،دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى(١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

(٦) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله(ص٣٩٩) دار ابن الجوزي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

وهذا التعريف شامل للأمرين (أي درء المفاسد وجلب المصالح) سواءٌ كانت الشفاعة في أمور الدنيا فيما أباحه الشرع وأذن به أو أمور الآخرة .

ومما ورد في ذلك ما رواه أبو هريرة [١] رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في صلاته على الجنازة : « **اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها** »[٢] .

وعن أنس[٣] وعائشة[٤] ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : « **ما من ميت يصلي عليه**

---

(١) اختلف في اسمه اختلافاً كبيراً وأرجح الأسماء عبدالرحمن أو عبدالله بن صخر الدوسي ، وكني بأبي هريرة لهرة كان يحملها في كمه فرآه الرسول عليه الصلاة والسلام فقال له : يا أبا هريرة ، أسلم عام خيبر ، ولزم رسول الله ﷺ رغبة في العلم ، وكان من المكثرين للحديث وحفظه ، توفي بالمدينة وقيل بالبصرة سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ هـ ، وهو ابن ثمان وسبعين ، انظر: : الإصابة / لابن حجر (٢٠٢٤ / ٢٢١) ترجمة رقم ١١٩٠ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٢٨هـ) ، الاستيعاب / لابن عبدالبر ٤ / ٢٠٢-٢١٠) هامش الإصابة ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ـ تحقيق : شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة ـ (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) - (٢ / ٥٧٨ وما بعدها) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة / لابن الأثير (٣ / ٤٧٥) ترجمة رقم٣٣٢٨ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (٢ / ٤٨٣) رقم / ٨٤٦٧ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢ / ٣٤٥ ، ٣٦٣) ح٨٥١٩ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، أبو داود في سننه : كتاب الجنائز ، باب الدعاء للميت (٣ / ٥٣٨) ح٣٢٠٠ دار الحديث للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٣٩١هـ- ١٩٧١م) ، مشكاة المصابيح / للتبريزي ـ تحقيق : الألباني (١ / ٥٣٠) ح١٦٨٨ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) .

(٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخزرجي ، أبو حمزة ، خادم رسول الله ﷺ ، وأحد المكثرين من الرواية عنه ، آخر من مات من الصحابة- رضي الله عنهم ـ بالبصرة ،فضائله ومناقبه كثيرة رضي الله عنه ، توفي سنة ٩٠هـ ، وقيل ٩٢هـ وهو الأصح ، وعمره ١٠٣ عاماً . انظر: : الإصابة في تمييز الصحابة / لابن حجر العسقلاني (١ / ١١٢ ، ١١٣) ترجمة رقم / ٢٧٥ . الناشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة / لابن الأثير (١ / ١٩٢-١٩٥) ترجمة رقم / ٢٥٨ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط (٣ / ٣٩٥ وما بعدها) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ١١١) رقم / ٥٦٦ .

(٤) هي أم عبدالله حبيبة رسول الله ﷺ ، بنت خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كانت من أكبر فقهاء الصحابة حيث كانوا يرجعون إليها ، بنى بها الرسول عليه الصلاة والسلام في شوال بعد =

أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشْفَعُون له إلا شفعّوا فيه »[١] . فهم يدعون ويطلبون من الله عز وجل الشفاعة للغير بجلب المنفعة أو دفع المضرة.

وقعة بدر ، ونزلت الآيات في تبرئتها مما رماها به أهل الإفك ، عاشت خمساً وستين سنة ، وحدث عنها جماعة من الصحابة والتابعين ، توفيت سنة ٥٧ هـ على الصحيح بالمدينة ودفنت بالبقيع . انظر: تذكرة الحفاظ / للذهبي (١ / ٢٧-٢٩) ، طبقات ابن سعد (٥ / ٥٨ وما بعدها ـ (دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، سير أعلام النبلاء (٢ / ١٣٥ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (٢ / ٦٥١) رقم / ٨٦٧٩ ، الأعلام / للزركلي (٣ / ٢٤٠) .

(١) رواه مسلم : كتاب الجنائز ـ باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه (٢ / ٦٥٤) ح٩٤٧ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون(١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م) ، وأحمد في مسنده (٣ / ٢٦٦) ، (٦ / ٣٢-٤٠-٩٧-٢٣١) ، واللفظ لمسلم.

المطلب الثالث

أهميـــة الشفـــــاعة

من خلال تعريفنا للشفاعة تظهر أهميتها وحكمتها البالغة فهي تفريج للكرب بدفع الضر سواءً في الدنيا أو عند الله عز وجل في الآخرة في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، أو تكون لجلب المنافع للعبد المسلم بما يفيده في الحياة الدنيا أو ما يزيد درجاته عند ربه سبحانه وتعالى ، ومن أهميتها وحكمتها إظهار جلال الله وعظمته وإعلان كرامة الشفيع ووجاهته ، ومنها بيان عظم رحمة الله الواسعة التي تجعل العبد المذنب بسبب ذنوبه وانتهاكاته للمحرمات أن يعود إلى الله مطمئن البال راجيًا رحمة ربه عزوجل فييئس المسرف على نفسه من كل مخلوق ولكن الله عز وجل يكرمه بأحد الشفعاء فيشفع له ، ومن أهميتها إظهار خصوصية النبي ﷺ إذ يظهره الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة على رؤوس الخلائق بعد أن يموجون بعضهم في بعض بحثاً عمّن يقدم إلى ربه ـ عز وجل ـ يتشفع للأمة بأكملها أولها وآخرها فعند ذاك يمكّنه الله ـ عز وجل ـ فيشفع فيمن يأذن الله له .

ومن أهميتها إظهار عظم كلمة التوحيد وأفضلية الموحدين على غيرهم إذ يكون آخر من يشفع لهم الله عز وجل برحمته من قال كلمة التوحيد ولم يشرك بالله شيئاً.

فالشفاعة إظهار منزلة الشفيع عند المشفَّع ، وإيصال منفعته للمشفوع[1] ، وذلك بعد الإذن من الله عزوجل إن كان في أمور الآخرة ، أو بوسيلة مشروعة بينها الشرع إن كان في أمور الدنيا ومنافعها .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥ / ٢٩٥) .

المبحث الثاني

الفرق بين التوسل والاستغاثة والشفاعة والعلاقة بينهما

المطلب الأول

التوسل لغةً وشرعاً

أولاً: التوسل لغةً:

التوسل : التقرب .

والوسيلة : المنزلة عند الملك .

والوسيلة : الدرجة .

والوسيلة : القُرْبة .

ووسّل فلانٌ إلى الله وسيلةً إذا عَمِل عملاً تقرَّب به إليه[١] .

والواسِل : الراغِبُ إلى الله ، قال لبيد : والوسيلة : الرغبة والطلب .

أرى الناس لا يَدْرونَ ما قَـدْرُ أمـرهـم بـلى كـلُّ ذي رأي إلى الله واسِـلُ[٢]

وسل : الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبةٍ ، وهي أخص من الوصيلة ، لتضمنها لمعنى الرغبة[٣] .

وتوسَّل إليه بوسيلة إذا تقرَّب إليه بعَمَل .

وتوسَّل إليه بكذا : تقرَّب إليه بحُرْمةِ آصِرةٍ تُعْطفه عليه .

والوسيلةُ : الوصلة والقُرْبى ، وجمعها الوسائل .

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١١ / ٧٢٤) مادة وسل .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦ / ١١٠) مادة وسل . بتصرف .

(٣) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص٥٢٣) .

فالوسيلة : هي ما يتقرب به إلى الشيء [١] .

ونستخلص مما تقدم أن التوسل لغة : هو السبب الموصل إلى المقصود ، والتقرب إلى المطلوب ، والتوصل إليه برغبة .

وهو : المنزلة عند الملك والدرجة والقربة .

ثانياً : التوسل في الاصطلاح الشرعي هو :

قبل أن نبدأ ببيان ذلك فإني أذكر كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بيّن فيه معنى لفظ (الوسيلة) و (التوسل) وقال رحمه الله تعالى ما يلي :

(إن لفظ الوسيلة والتوسل فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه ، ويعطي كل ذي حق حقه ، فيعرف ما ورد به الكتاب والسُّنَّة من ذلك ومعناه ، وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك .

ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه فإن كثيراً من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الإجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب .

فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ [المائدة : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾** ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧] .

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغي إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات .

فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب أو استحباب ، وأصلُ

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١١ / ٧٢٤) مادة وسل ، وانظر: النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير (٥ / ١٨٥).

ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ .

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ماجاء به الرسول ﷺ ، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك .

والثاني : لفظ (الوسيلة) في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ : « **سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سال الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة** »[1] .

فالتوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته .

والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح .

وحينئذ فلفظ التوسل به ﷺ يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين هما :

أحدهما : هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته ، ومنه قوله تعالى :﴿ ... **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ [المائدة : ٣٥] أي القرب إليه بطاعته ، وطاعة رسوله طاعته ، قال تعالى : ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء : ٨٠] .

الثاني : دعاء الرسول ﷺ وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته .

ومن هذا قول عمر بن الخطاب[2] رضي الله عنه : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه (١ / ٢٨٨)ح. ٣٨٤ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص. والترمذي في سننه : كتاب المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ(٥ / ٥٤٦) ح٣٦١٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ دار الكتب العلمية - بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي أبو حفص ، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة،أسلم بعد أربعين رجلاً ،وكان إسلامه في السنة السادسة وسماه الرسول عليه الصلاة والسلام الفاروق، تولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفتحت الفتوح في عهدة،قتله أبو لؤلؤة المجوسي في آخر ذي الحجة سنة ٢٣هـ،وقيل٢٤هـ وعمره٦٣ =

بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»[١] أي بدعائه وشفاعته لا بذاته.

ويراد به معنى آخر ليس بصحيح ولم يأذن به الشرع وهو :

الثالث : التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الادعية المشهورة بينهم ، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة[٢]

وقال رحمه الله :«إنه ليس في هذا الباب حديث واحد مرفوع إلى النبيﷺ يعتمد عليه في مسألة شرعية، باتفاق أهل المعرفة بحديثه، بل المروي في ذلك إنما يعرف أهل المعرفة بالحديث أنه من الموضوعات ، إما تعمداً من واضعه ، وإما غلطاً منه»[٣].

ومن خلال ما ذكرنا نعرف أن الوسيلة في القرآن الكريم يقصد بها :القربة،والمحبة ، والطاعة والدعاء.

قال ابن جرير[٤] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه.

= سنة ، انظر: أسد الغابة ٤ / ١٥٦-١٩٢) ترجمة رقم٣٨٢٤ ، تهذيب التهذيب/ لابن حجر (٧ / ٤٣٨-٤٤١)ـدار صادر ـ بيروت- لبنان ـ ط الأولى (١٣٢٦هـ) ، تذكرة الحفاظ (١ / ٥-٨) ، تاريخ الخلفاء / للسيوطي (ص١٢٣ وما بعدها) ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ، طبقات الحفاظ / للسيوطي (ص١٣) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) .

(١) رواه البخاري : كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ٢ / ٣٣ ح ١٠١٠ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ـ تحقيق / ربيع بن هادي المدخلي (ص ٧٩-٨٢) بتصرف .

(٣) المصدر السابق (ص١٨٠) .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، الإمام ، العلامة ، القارئ ، المحدث ، المفسر ، المؤرخ ، الفقيه، صاحب التصانيف، ولد بآمُل إحدى مناطق طبرستان سنة ٢٢٤هـ ، وتوفي ببغداد سنة٣١٠هـ ، له عدة مؤلفات منها : (جامع البيان) في التفسير ، و (تاريخ الامم والملوك) و (تهذيب الآثار) و(اختلاف الفقهاء) وغيرها . انظر: تذكرة الحفاظ / للذهبي (٢ / ٧١٠) ، سير اعلام النبلاء / للذهبي (١٤ / ٢٦٧ وما بعدها) ، الاعلام ٦ / ٦٩)، طبقات المفسرين /للداودي ـ تحقيق : علي محمد عمر (٢ / ١٠٦) ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م) .

وقال رحمه الله تعالى في الآية الوسيلة : المحبّة ، تحبّبوا إلى الله تعالى »[١]

وقال ابن الجوزي[٢] ـ رحمه الله ـ : في الوسيلة قولان :

« **أحدهما** : أنها القربة، قاله ابن عباس ، وعطاء، ومجاهد ، والفراء . وقال قتادة : تقربوا إليه بما يرضيه . قال أبو عبيدة : يقال : توسلت إليه ، أي : تقرّبت إليه . وأنشد :

إذا غفل الواشون عُدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائلُ

والثاني : المحبة ، يقول : تحببوا إلى الله[٣] » .

وقال الإمام ابن كثير[٤] ـ رحمه الله ـ : « والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٤ / ٥٦٦، ٥٦٧) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

(٢) هو أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، ولد عام ٥٠٨هـ في بغداد ، توفي أبوه وعمره ثلاث سنين ، وكان أهله تجاراً في النحاس (الصُّفر) ولهذا كُتب اسمه في بعض السماعات بعبدالرحمن الصفار ، ونسبته بالجوزي إلى (مشرعة الجواز) قرأ القرآن وجوّده وأخذ الإجازات فيه .. كان فقيهاً حافظاً مفسراً أديباً، له أكثر من ثمانين شيخاً ... بدأ التصنيف وعمره ثلاث عشرة سنة ، توفي عام ٥٩٧هـ في بغداد ، له عدة مصنفات تزيد على الثلاث مائة منها : (زاد المسير في علم التفسير ، منهاج الوصول إلى علم الأصول ، جامع المسانيد ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، مناقب بغداد ، الإنصاف في مسائل الخلاف) وغيرها . انظر: كتاب الوافي بالوفيات / صلاح الدين خليل الصّفدي ـ تحقيق : أحمد الأرناؤوط وآخر ١٨ / ١٠٩-١١٣ ـ دار إحياء التراث العربي ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢١ / ٣٦٥ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي ٣ / ٣١٦) .

(٣) زاد المسير في علم التفسير / لابن الجوزي (٢ / ٣٤٨) المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ، دمشق ـ سورية ، ط الأولى (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) ، ط الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

(٤) هو الحافظ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي الدمشقي ، ولد عام ٧٠١هـ بقرية من أعمال مدينة بصرى ، وقدم دمشق ، وصاهر الحافظ المزي ، من تلاميذ الإمام ابن تيمية ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه ، رحل في طلب العلم ، توفي عام ٧٧٤هـ ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية ، له مؤلفات عديدة منها : (البداية والنهاية، شرح صحيح البخاري ، تفسير القرآن العظيم ثاني كتاب في التفسير المأثور بعد تفسير ابن جرير) وغيرها . انظر: شذرات الذهب/ لابن العماد (ج٦ / ٢٣١) المجلد الثالث ، طبقات المفسرين / للداودي (١ / ١١٠) ، البدر الطالع / للشوكاني (١ / ١٥٣) ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون ، الأعلام للزركلي (١ / ٣٢٠) .

المقصود،والوسيلة أيضاً علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله ﷺ »[١].

وقال الإمام الشنقيطي [٢] رحمه الله : « وأصل الوسيلة الطريق التي تقرب إلى الشيء ، وتوصل إليه وهي العمل الصالح بإجماع العلماء لأنه لا وسيلة إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله ﷺ » .

« وروى عن ابن عباس[٣] رضي الله عنهما أن المراد بالوسيلة الحاجة، واستدل ببيت عنتره :

إن الرجـــال لهـم إليـك وســـيلة إن يأخـذوك تَكَحَّلِي وتَخَـضَّـبِي

قال يعني لهم إليكِ حاجة » [٤] .

وقال رحمه الله : « التحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها التقرب إلى الله بالإخلاص له في العبادة ، على وفق ما جاء به الرسول ﷺ ، وتفسير ابن عباس داخل في هذا ، لأن دعاء الله والابتهال إليه في طلب الحوائج من أعظم أنواع عبادته التي هي الوسيلة إلى نيل رضاه ورحمته » [٥] .

« فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الطريق الموصلة إلى رضاه وجنته ورحمته

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٥٥) دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط السادسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ..

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي ، ولد عام ١٣٢٥هـ . علامة أصولي مفسر ، لغوي ، من علماء شنقيط ، موريتانيا ، ولد وتعلم بها ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، ودرس في مختلف علوم الشريعة ، توفي بمكة عام ١٣٩٣هـ ، له عدة مصنفات منها : تفسيره (أضواء البيان) وغيره ، انظر : الأعلام / للزركلي (٦ / ٤٥) ، علماء ومفكرون عرفتهم / لمحمد المجذوب (١ / ١٧١-١٩١) دار الشواف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الرابع١٩٩٢م) .

(٣) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، أبو العباس ، ابن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وبنو هاشم في الشعب ، دعا له الرسول ﷺ بالعلم والحكمة وتاويل القرآن مع البركة والصلاح ، وكان يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره ، وكان عمر رضي الله عنه يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر وفقهه ، مات بالطائف سنة ٦٧ وقيل ٦٨هـ ، وهو ابن ٧٠ سنة وقيل ٧١ سنة وقيل ٧٤ سنة والاقوى هو : توفي وعمره ٧١ سنة . الاستيعاب / لابن عبدالبر (٢ / ٣٥٦-٣٥٧) بهامش الإصابة ، الإصابة (٢ / ٣٣٠-٣٣٤) ترجمة رقم / ٤٧٨١ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٣١ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ٥٠٤) رقم / ٣٤٢٠ .

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢ / ٨٦-٨٧) مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

(٥) المصدر السابق (٢ / ٨٧) .

هي اتباع رسوله ﷺ، ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل ، قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾[النساء:١٢٣]» (١).

ونستخلص مما تقدم أن التوسل والوسيلة في الاصطلاح الشرعي هي :

اتخاذ سبب مشروع يُقَرِّب إلى الله تعالى ، وعبادة يراد بها التوصل إلى رضوان الله - سبحانه وتعالى - ، وبما شرعهُ على لسان رسوله ﷺ لنيل المنزلة العالية عنده سبحانه وتعالى ، أو لقضاء الحاجات بجلب نفع أو دفع ضر ، أو للحصول على مرغوب في الدنيا والآخرة، والتوسل إلى الله لا يكون إلا بما شرعه سبحانه وتعالى ، وبهذا يجمع ما قاله السلف .

وتأمل قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[المائدة:٣٥].

ففي تقديم الجار والمجرور ﴿ إِلَيْهِ ﴾ إفادة اختصاص(٢) الوسائل بالله ، لا يشركه معه فيها أحد، كما في قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة:٥] .

والله أعلم

(١) المصدر السابق (٢ / ٨٧) .

(٢) قاعدة اللغة العربية التي نزل بها القرآن ان تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص .

المطلب الثاني
أنواع التوسل وأحكامه

بداية لابد من بيان أقوال العلماء في التوسل إجمالاً وهي كما يلي :

١- منهم من منع التوسل بالنبي ﷺ في حال غيبته وبعد مماته وهم الجمهور .

٢- ومنهم من أجاز التوسل بالأنبياء في حال حياتهم دون غيرهم ، كابن عقيل الحنبلي[١] ، والعز بن عبد السلام[٢] .

قال الإمام الشوكاني[٣] ـ رحمه الله ـ : « وأمّا التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام أنه

---

(١) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبدالله البغدادي الظَّفَري الحنبلي ، أبو الوفاء ، أحد شيوخ الحنابلة، كان متكلماً ، ولد سنة ٤٣١هـ ، وكان يسكن الظَّفَرية شرق بغداد ،كان دَيناً حافظاً للحدود ، قوي الصبر ، وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته .. ، فأراد الحنابلة قتله ، فاستجار بباب المراتب عدة سنين ، ثم أظهر التوبة ، توفي سنة ٥١٣هـ . له عدة تصانيف أعظمها : (كتاب الفنون) وغيرها . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٩ / ٤٤٣) ، طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى (٢ / ٢٥٩) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، والأعلام / للزركلي (٤ / ٣١٣) .

(٢) هو عبدالعزيز بن عبدالسلام الدمشقي ، الملقب بسلطان العلماء لمواقفه الجريئة مع الحكام ، ولد ونشأ في دمشق سنة ٥٧٧هـ ، إمام ، محدث ، أصولي ، فقيه ، توفي سنة ٦٦٠هـ في القاهرة ، له مصنفات كثيرة ، منها (قواعد الشريعة ، قواعد الأحكام) وغير ذلك . انظر: فوات الوفيات / لمحمد بن شاكر الكتبي ـ تحقيق د: إحسان عباس (٢ / ٣٥٠) ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج ٥ / ٣٠١) المجلد الثالث ، الأعلام /. للزركلي (٤ / ٢١) ، طبقات الشافعية / للسبكي ، تحقيق : عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي (٨ / ٢٠٩) ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ ط الأولى ـ بدون تاريخ .

(٣) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني ، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان باليمن) سنة ١١٧٣هـ نشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ، كان مشتغلاً بالعلم دراسة وتدريساً وافتاءً وتصنيفاً ، ترك التقليد واجتهد رأيه اجتهاداً مطلقاً غير مقيد . توفي عام ١٢٥٠هـ في صنعاء ، بلغت مصنفاته أربعة عشر ومائة كتاب ، منها : تفسيره (فتح القدير) ، و (إرشاد الفحول في أصول الفقه) و (السيل الجرار) و (نيل الأوطار) وغير ذلك . انظر: البدر الطالع / للشوكاني (٢ / ٢١٤)، الأعلام / للزركلي (٦ / ٢٩٨) ، معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٣ / ٥٤١).

لايجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي ﷺ » [١] .

ثم قال رحمه الله : « وعندي لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي ﷺ كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين :

الأول : إجماع الصحابة رضي الله عنهم .

الثاني : أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به.من العلم » [٢]

٣- ومنهم من أجاز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتًا وهم جملة أهل البدع والضلال .

وحقيقة التوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سبباً في قبول دعائه ولابد من دليل على كون هذا الشيء سبباً للقبول ، ولا يعلم ذلك إلا من طريق الشرع ، فمن جعل شيئاً من الأمور وسيلة له في قبول دعائه بدون دليل من الشرع فقد قال على الله مالا يعلم ، إذ كيف يدري أن ما جعله وسيلة مما يرضاه الله تعالى يكون سبباً في قبول دعائه ؟ ، والدعاء من العبادة ، والعبادة موقوفة على مجيء الشرع بها .

وقد أنكر الله تعالى على من اتَّبع شرعاً بدون إذنه وجعله من الشرك فقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١] .

قال الإمام الشوكاني- رحمه الله- : « والتوسل بنبي من الأنبياء أو عالم من العلماء أو الصالحين لا يعتقد أن لمن توسل به مشاركة الله جل جلاله في أمر يوم

---

(١) الرسائل السلفية في إحياء سُنَّة خير البرية ﷺ (كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) للشوكاني (ص٥) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٣٤٨هـ- ١٩٣٠م) .

(٢) المصدر السابق (ص٥) .

الدين ، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواءً كان نبياً أو غير نبي فهو في ضلال مبين ، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [يونس : ٤٩] ، فإن هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله ﷺ من أمر الله شيء ، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فكيف يملك لغيره . وليس فيهما منع التوسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء أو العلماء توسلاً مشروعاً » (١) .

والتوسل في دعاء الله تعالى قسمان هما :

القسم الأول : التوسل المشروع :

وهو التقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه من العبادات الواجبة أو المستحبة سواءً كانت أقوالاً أو أفعالاً أو اعتقادات،ويكون بوسيلة جاءت بها الشريعة المطهرة،وهو على ثلاثة أنواع:

الأول : التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته :

وهذا يعتبر من أعظم الأنواع وأنفعها للعبد توسلاً إلى الله عز وجل ، وقد أمرنا الله عز وجل بذلك في كتابه الكريم بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، أي ادعو الله متوسلين إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلىَ .

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « أي اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول : يا رحيم ارحمني،يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدني ، يا فتاح افتح لي ، ياتواب تب عليَّ ، هكذا » (٢) .

« فقوله : ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ، شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة فيدعي في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً : اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، وتب عليّ يا تواب ، وارزقني يا رزاق ، والطف بي يا لطيف

---

(١) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية ... (ص٧) بزيادة يسيرة .
(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (٧ / ٢٣٧) .

ونحو ذلك »[١] .

فإن ذلك مما يحبه الله ويرضاه ، وذلك استعمله رسول الله ﷺ كما روى ذلك الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود[٢] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن ، فقال اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً »[٣] .

وقال ﷺ : **« اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي .. »**[٤] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ـ لعبدالرحمن السعدي (ج٣ / ٧٢) المجلد الثاني ، دار ابن الجوزي ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) .

(٢) عبدالله بن مسعود : أبو عبدالرحمن بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن قار بن مخزوم بن فزار المكي المهاجري البدري ، صحابي من كبار الصحابة فضلاً وقرباً من رسول الله ﷺ ، هاجر الهجرتين وشاهد المشاهد كلها ، ولي قضاء الكوفة وبيت مالها في خلافة عمر رضي الله عنه ، ثم رجع إلى المدينة وتوفي بها سنة ٣٢هـ . وعمره ٦٣ سنة ، انظر : الإصابة (٢ / ٣٦٨ وما بعدها) ترجمة رقم / ٤٩٥٤ ، سير أعلام النبلاء (١ / ٤٦١ وما بعدها (تقريب التهذيب (١ / ٥٣٣) رقم / ٣٦٢٤ ، الأعلام / للزركلي (٤ / ١٣٧) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده(١ / ٣٩١) ، وأبو يعلي في مسنده (٩ / ١٩٩) ح٥٢٩٧ تحقيق حسين سليم أسد ـ دار الثقافة العربية ـ بيروت ، دمشق ـ ط الأولى (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م) ، والحاكم في مستدركه (١ / ٦٩١) ح ١٨٧٧، وقال : صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ- ١٩٩٠م) ، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١ / ٣٣٦) برقم (١٩٩) .

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب: صفة الصلاة : باب الدعاء بعد الذكر ـ تحقيق د /عبد الغفار سليمان البنداري وآخر (١ / ٣٨٨) ح ١٢٢٩ من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١١هـ- ١٩٩١م (، وأخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب الدعاء والتكبير (١/ ٧٠٥-٧٠٦) ح/ ١٩٢٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، الحديث صحيح : انظر : صحيح الجامع الصغير ، وزيادته للألباني - رحمه الله - برقم (١٣٠١) ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) .

الثاني : التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة :

١- التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله ﷺ وبكل ما أمره وقد ذكر ذلك القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]،وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) ﴾ [آل عمران: ١٦] ،وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

فقد ذكر الله ـ عز وجل ـ في هذه الآيات الإيمان قبل الدعاء، ولهذا يجوز للمسلم أن يقول : اللهم بإيماني بك ، ومحبتي لك واتباعي لرسولك ﷺ وإيماني به أن تدفع عني الشر ، وتفرج عني الكرب ، وتعطيني من فضلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال ، باطناً وظاهراً ، في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته ، في مشهده ومغيبه ، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه ، ولا بعذر من الأعذار ، ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته »[1]

فهذا النوع من التوسل من أعظم الوسائل ، فالأعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا ومجازاته إيّانا فإذا توسلنا إلى الله بالأعمال الصالحة كنا متوسلين إليه بوسيلة ، كما قال سبحانه وتعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[المائدة:٣٥] ، فالوسيلة هي الأعمال الصالحة وكما سبق وأن أوضحنا ذلك ، فالله تعالى يجب أن نتوسل إليه بالإيمان والعمل والصلاة والسلام على نبيه ومحبته وطاعته وموالاته وغيرها من الأعمال التي تقربنا إليه سبحانه .

٢- التوسل إلى الله بعبادته وطاعته، والخوف منه، فالتوسل إلى الله بعبادته وطاعته من أعظم القربات التي يحبها الله ويرضاها من عبده ويثيبه عليها ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله ـ عز وجل ـ قال : من عادى لي ولياً**

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٣ ، ٤) .

فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت (*) عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته »(١) .

فالعبد المسلم عند أدائه للفرائض ودوامه على النوافل يعتبر (متقربًا ومتوسلاً) بها إلى الله عز وجل ، وكذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار .

فعن عبد الله بن عمر(٢) رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال :« بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر ، فمالوا إلى غار في الجبل ، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجُها ، فقال أحدُهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ، ولي صبية صغار كنتُ أرعى عليهم ، فإذا رُحتُ عليهم فحلبتُ بدأتُ بوالديَّ أسقيهما قبل ولدي ، وإنه نآء بي(٣) الشجرُ فما أتيتُ حتى أمسيتُ ، فوجدتهما قد ناما ، فحلبتُ كما كنت أحلُبُ ، فجئت بالحلاب فقمتُ عند رؤسهما ، أكرهُ أن أوقظهما من نومهما ،وأكرهُ أن أبدأ بالصِّبية قبلهما والصِّبية يتضاغون عند قدمَيَّ ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجرُ ، فإن كنت

(١) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب التواضع (٨ / ١٣١) ح / ٦٥٠٢، وأحمد في مسنده(٦ / ٢٥٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، كانت هجرته قبل هجرة ابيه، وأول مشاهده الخندق، كان من المكثرين بالرواية عن الرسول ﷺ ، وكان يقتدي به في كل امره ، توفي عام ٧٣هـ وقيل في أول ٧٤هـ وعمره ٨٦ عامًا وقيل ٨٧ عامًا. انظر: أسد الغابة (٣/ ٣٤٧-٣٥٢) ترجمة رقم / ٣٠٨٠ ، سير أعلام النبلاء(٣ / ٢٠٣ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ٥١٦) رقم/ ٣٥٠١ ، الأعلام (٤ / ١٠٨).

(٣) نآء بي : أي بعد ، انظر: فتح الباري / لابن حجر (١٠ / ٤١٨) دار الريان ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

(*) التردد نوعان :الأول :تردد للشك في النتيجة، فهذا منزه عنه الله تعالى لان الله تعالى لا يخفى عليه شئ. الثاني: تردد لما يتعلق بالعبد مع العلم بالنتيجة ، فهذا يوصف الله تعالى به ، لأنه سبحانه وتعالى أثبت ذلك لنفسه في هذا الحديث . فهو تردد يليق بجلاله سبحانه .

تعلمُ أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نَرىَ منها السماء، ففَرج الله لهم فرجَة حتى يَرَون منها السماء .

وقال الثاني : اللهم إنه كانت لي أبنة عم أحبها كأشدِّ ما يحبُّ الرجال النساء، فطلبتُ إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فسعيتُ حتى جمعتُ مائة دينار فلقيتها بها ، فلما قعدت بين رجليها ، قالت : يا عبد الله اتق الله ، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه ، فقمتُ عنها، اللهم فإن كنت تعلم أنّي قد فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها ، ففرج لهم فُرجةً .

وقال الآخر : اللهم إني كنت أستأجرت أجيراً بفَرَق أرز ، فلما قضى عملهُ قال : أعطني حقي ، فعَرضتُ عليه حقه ، فتركه ورغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعتُ منه بقراً وراعيها فجاءني وقال : اتق الله ولا تظلمني واعطني حقّي، فقلت أذهب إلى تلك البقر وراعيها ، فقال اتق الله ولا تهزأ بي ، فقلت إنّي لا أهزأ بك ، فخذ تلك البقر وراعيها فأخذهُ فانطلَقَ فإن كنت تعلمُ أنّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج ما بقي ، فَفَرَج اللّهُ عنْهُم »[1] .

فهؤلاء الثلاثة سألوا الله ـ عز وجل ـ وتوسلوا إليه بأعمالٍ صالحة عملوها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « وإن كان متوسلاً بسبب يقتضي المطلوب كالسؤال بالأعمال التي فيها طاعة الله ورسوله ، مثل السؤال بالإيمان بالرسول ومحبته ، وموالاته ونحو ذلك فهذا جائز »[2] .

٣- التوسل بالاستغفار والتسبيح والدعاء :

وهذا من أفضل ما يتوسل به العبد إلى ربه فقد أثنى الله ـ عز وجل ـ على المستغفرين من ذنوبهم التائبين الآيبين إليه كما في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب ، باب إجابة دعاء من بر والديه (٨ /٣٠-٤) ح / ٥٩٧٤ . ومسلم : كتاب الذكر والدعاء،باب قصة اصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الاعمال (٤ / ٢٠٩٩)ح ٢٧٤٣ واللفظ للبخاري .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٣٣٧) .

فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٥].

فيكثرون من ذكر الله ـ عز وجل ـ والاستغفار بالسنتهم وقلوبهم ،وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى ملازمة الاستغفار لما فيه من إظهار العبودية لله والافتقار إليه والذل والخشوع له وكان ﷺ يكثر من ذلك كما ثبت عنه ﷺ بقوله : « **يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة** »(١) ، وعنه ﷺ أنه قال : « **إنه ليغان**(٢) **على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة** »(٣) .

وأما الدعاء فإنه أقوى وسائل التقرب إلى الله، وأفضل ما يتقرب به العبد إلى مولاه، فالدعاء مخ العبادة .

قال الله تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾** ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾** ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عليه السلام حيث قال عز وجل : ﴿ **وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾** ﴾ [النمل : ١٩] .

وحديث الأعمى هو من التوسل بدعائه ﷺ ، فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره . فقال له: « **إن شئت دعوتُ وإن شئت صبرتَ فهو خير لك . قال : فادْعُهُ ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا**

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه(٤ / ٢٠٧٥ ، ٢٠٧٦) ح / ٢٧٠٢ ، أبو داود: كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار(٢ / ١٧٧) ح١٥١٥ ، من حديث أبي بردة رضي الله عنه .

(٢) ليغان : الغين هو ما يتغشى القلب ـ انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (ج١٧ / ٢٣) المجلد السادس .

(٣) رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٤ / ٢٠٧٥) ح / ٢٧٠٢ ، أبو داود : كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار (٢ / ١٧٧) ح١٥١٥ ، من حديث أبي بردة رضي الله عنه .

الدُّعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبيِّ الرحمة ، إنِّي توجهت بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفِّعْه فيَّ »[١] .

فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته ، ودعا له النبي ﷺ، ولهذا قال:(وشفعه في ، فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه وهو دعاؤه)[٢] .

والآيات والاحاديث في هذا كثيرة وليس هذا مجال لبسطها .

٤- التوسل إلى الله تعالى بتوحيده سبحانه :

ومن هذا توسل يونس عليه السلام عندما سقط في البحر فالتقمه الحوت، قال الله تعالى: ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء :٨٧].

٥-التوسل إلى الله بذكر حال الداعي المبيّنة لاضطراره وحاجته واعترافه بالذنب:

كتوسل موسى عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] ، وكتوسل أيوب عليه السلام في قول الله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣] .

فكان هذا توسلاً بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله عز وجل .

وكما قال الله تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام في قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦] .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الدعوات ، باب ١١٩ ، (٥ / ٥٣١) ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه في حديث أبي جعفر وهو الخطمي،وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص٤١٧-٧١٨) ح٦٥٩ ، تحقيق د / فاروق حمادة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ (١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م) . وابن ماجه في سننه : كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها ، باب ما جاء في صلاة الحاجة وفيه (ويصلي ركعتين (١ / ٤٤١) ح ١٣٨٥ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون ، ، وأحمد في مسنده (٤ / ١٣٨) كلهم من رواية عثمان ابن حنيف رضي الله عنه ، والحاكم في مستدركه : كتاب صلاة التطوع (١ / ٤٥٨) ح ١١٨٠ ، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه،وقال الذهبي صحيح، انظر:المشكاة (٢ / ٧٦٩) برقم (٢٤٩٥). قال الألباني رحمه الله: وإسناده صحيح ، ومن ضعفه من المتاخرين فما أصاب ، كما لم يصب من استدل به على التوسل بالاشخاص ، وإنما هو دليل على التوسل بدعاء الرجل الصالح . .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيميه (ص١٨٥) .

وكان هذا توسلاً بالاعتراف بالذنب ليتوب الله عنه من ذلك .

الثالث : التوسل بدعاء الأحياء الصالحين للغير :

وهذا عبارة عن طلب العبد ممن يظن فيه الصلاح والتقوى عندما يقع في ضيق شديد، وقد يعلم من نفسه التفريط في جنب الله فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله فيذهب إلى ذلك الرجل معتقداً فيه التقوى والعلم بالكتاب والسُّنَّة أو بعض منها فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربه ويزيل همه .

فهذا النوع من أنواع التوسل المشروع الذي أجازته الشريعة وأرشدت إليه .

قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾** ﴾ [الحشر: ١٠].

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال : يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « **اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا** » .

قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعةً ولا شيئاً ، وما بيننا وبين سلع[1] من بيت ولادار . قال : فطلعتْ من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت . قال والله ما رأينا الشمس سبتاً .

ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب فاستقبله قائماً فقال: يارسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظِّراب والأودية ومنابت الشجر** قال: **فانقطعت ، وخرجنا نمشي في الشمس**»[2] .

---

(١) سلع : جبل بالمدينة المنورة ، الظِّراب : واحدها ظَرِب ، وهي : الروابي الصغار .

(٢) رواه البخاري: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع (٢ / ٣٤-٣٥) ح ١٠١٣، ومسلم : كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء (٢ / ٦١٢) ح ٨٩٧ .

وقول عكاشه بن محصن[١] رضي الله عنه للنبي ﷺ حيث ذكر أوصاف الذين يدخلون الجنة وهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، فقال رضي الله عنه : « **ادع الله أن يجعلني منهم .... »** [٢] .

ولما توفي رسول الله ﷺ صار الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء من عمه العباس رضي الله عنه فيدعو الله لهم .

لما رواه أنس رضي الله عنه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب ، فقال : « **اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيُسقون »** [٣] .

ومعنى قول عمر رضي الله عنه : أي إنا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا ونتقرب إلى الله بدعائه ، والآن وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا ، فإننا نتوجه إلى عم نبينا ونطلب منه أن يدعو لنا .

وقال صاحب كتاب الصواعق المرسلة الشهابية : (مبيناً معنى الحديث) .

إن المراد بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس رضي الله عنه هو

---

(١) هو الصحابي الجليل : عكاشه بن محصن بن حُرْثان بن قيس بن مُرَّة بن كثير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد ابن خزيمة الأسدي ، حليف بني عبد شمس، يكنى أبا محصن ، كان من سادات الصحابة وفضلائهم . هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً ، وانكسر في يده سيف ، فأعطاه رسول الله ﷺ عُرْجوناً ـ أو عوداً فعاد في يده سيفاً يومئذ شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به .. وكان يسمى ذلك السيف العَوْن، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبشره الرسول ﷺ أنه يدخل الجنة بغير حساب ، وقتل في قتال أهل الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنة ١١هـ وقيل ١٢هـ ، انظر: أُسد الغابة (٤ / ٧٤ – ٧٥) ترجمة رقم / ٣٧٣٢ ، سير أعلام النبلاء (١ / ٣٠٧ ، ٣٠٨) ، الأعلام / للزركلي (٤ / ٢٤٤) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الطب ، باب من لم يَرْقِ (٧ / ١٧٤) ح ٥٧٥٢ ، وكتاب اللباس ، باب البُرود والحِبرة والشملة (٧ / ١٨٩) ح٥٨١١ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٩٩) ح٢٢٠ ، وكذلك ١ / ١٩٧) ح٢١٦ ، ٢١٨ . من حديث ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم عند البخاري ، ومن حديث أبي هريرة وعمران بن حصين عند مسلم .

(٣) رواه البخاري : كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢ / ١٣٤) ح ١٠١٠ .

الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معهودة في الشرع،وهي أن يخرج من يستسقى به إلى المصلى ، فيستسقي ويستقبل القبلة داعياً ، ويحول رداءه ،ويصلي ركعتين، أو نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح، والدليل عليه قول عمر رضي الله عنه : « **اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا** »(١) .

ففي هذا القول دلالة واضحة على أن التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي ﷺ ، والتوسل بالنبي ﷺ لم يكن إلا بأن يخرج ، ويستقبل القبلة ، ويحوّل رداءه ، ويصلي ركعتين أو نحوه من الهيئات الثابتة في الاستسقاء ،ولم يرد في حديث ضعيف فضلاً عن الحسن ، والصحيح أن الناس طلبوا السقياء من الله في حياته ﷺ متوسلين به من غير أن يفعل ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقياء والدعاء ، والصلاة وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة (٢) .

وجاء عن النبي ﷺ قوله : « **دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل** »(٣) .

فهذه أنواع ثلاثة للتوسل المشروع ، فمنها ماهو واجب كالتوسل بالأسماء والصفات والإيمان به وبرسوله ﷺ والتوسل بتوحيده ، ومنها ما هو مستحب ، كالتوسل بالأعمال الصالحة أو دعاء الصالحين .

فيجب على العبد المسلم عند الشدائد وغيرها أن يتوسل إلى الله ـ عز وجل ـ بالوسائل المشروعة لا بغيرها .

---

(١) سبق تخريجه ، ص ٢٦ .

(٢) الصواعق المرسلة الشهابية على الشُبه الداحضة الشامية / للعلامة : سليمان بن سحمان النجدي الحنبلي ـ تحقيق / عبدالسلام بن برجس (ص٢٧٠ ،٢٧١) دار العاصمة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ) .

(٣) رواه مسلم :كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٤ / ٢٠٩٤) ح ٢٧٣٣ ، وأحمد في مسنده (٥ / ١٩٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

القسم الثاني : التوسل الممنوع :

وهو التقرب إلى الله بما لايحبه ولا يرضاه من الأقوال والأفعال والاعتقادات ، وهو أن يكون التوسل بوسيلة لم يأت بها الشرع ، وهو نوعان :

الأول : أن يكون بوسيلة أبطلها الشرع ، كتوسل المشركين بآلهتهم وبطلان هذا ظاهر .

الثاني: أن يكون التوسل بوسيلة سكت عنها الشرع وهي متعلقة بالله فهذا محرم، أما إذا كانت متعلقة بمصالح العباد فليس من هذا،لأنها من باب المعاملات التي الأصل فيها الإباحة، والمقصود منها مصالح العباد :أي المصلحة المعقولة المعنى في الأمور الدنيوية،وليس المجال في الكلام عليها هنا،لأن التوسل الذي نحن بصدده في الأمور العبادية التي لا يكون للإنسان فيها مجال إلا حسب تحديد الشرع وذكره لها، وهو أنواع:

[١] توسل بالأموات :

وهذا التوسل ممنوع وهو من المحظورات الشرعية لأنه موصل إلى الشرك بالله بل قد يكون شركاً بالله عز وجل ، لأن الميت لا يقدر أن يفعل لنفسه شيئًا ولا يفيدها فمن باب أولى لا يقدر على منفعة غيره .

ولذا نجد أن الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ لم يتوسلوا به عند الشدة والضيق وإنما توسلوا بدعاء الأحياء .

قال شيخ الإسلام- رحمه الله- : . . فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين ، بل عمر بن الخطاب ومعاوية[١] بن أبي سفيان ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان ، لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان

---

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ، ولد قبل البعثة بخمس سنين ، من كُتّاب الوحي ، كان فصيحاً حليماً وقوراً ، ولاه عمر الشام بعد اخيه يزيد ، وبقي على ذلك خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما حتى آلت إليه الخلافة عام الجماعة ، مات سنة ٦٠هـ ، وهو ابن ٨٢ سنة ، وقيل ٧٧ سنة ، انظر : الإصابة (٣/ ٤٣٣-٤٣٤) ترجمة رقم / ٨٠٦٨ ، أسد الغابة (٥/ ٢٢٠- ٢٢٤) ترجمة رقم /٤٩٧٧، سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٩ وما بعدها.) ، تقريب التهذيب (٢/ ١٩٥) رقم ٦٧٨٢ .

حياً كالعباس، وكيزيد بن الأسود [١] ، ولم يسوسلوا ، ولم يستشفعوا ، ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا غير قبره ، بل عدلوا إلى البدل كالعباس ، وكيزيد ، بل كانوا يصلّون عليه في دعائهم ، وقد قال عمر : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » [٢] [٣] .

٢- التوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه غيره :

فيعتبر من التوسل الممنوع الذي لا يجوز شرعاً لأن الأصل في العبادات التوقف على ما جاء في الشرع ، ولا تثبت إلا بدليل صحيح .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ : « وروى بعض الجهال عن النبي ﷺ أنه قال : " **إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم** " وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث ... » [٤] .

فالتوسل بجاهه ليس له أصل في كتابَ الله ولا سُنّته ﷺ ولم يعمله الصحابة ، ولو كان التوسل بجاه أحد بعد موته ﷺ جائزاً لكان التوسل به أولى ولعمله الصحابة والتابعون من بعدهم .

٣- التوسل بذات المخلوق :

يعتبر توسلاً ممنوعًا لا يجوز شرعاً فقد قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ: « فأما التوسل بذاته ﷺ في حضوره أو مغيبه أو بعد موته ـ مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم ـ فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين » [٥] .

---

(١) هو يزيد بن الأسود الجرشي أبو الأسود ، ذكره بعضهم من الصحابة ، ولا يثبت ذلك ، وهو في عداد الشاميين ، من العبّاد، وكان أدرك الجاهلية والإسلام ، قحط المسلمون في زمن معاوية فخرج معاوية يستسقي به، انظر: الإصابة (٣ / ٦٧٣) ترجمة رقم/٩٣٩٣ ، أسد الغابة (٥ / ٤٩١-٤٩٢) ترجمة رقم/٥٥١٧ ، سير أعلام النبلاء (٤ / ١٣٦-١٣٧) .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٢٦ .

(٣) مجموع الفتاوى (١ / ٣١٨ ـ ٣١٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ٣١٩) .

(٥) المصدر السابق (١ / ٣١٨) .

« وكذلك عَلِمَ الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وبطاعته ، ومحبته ، وموالاته ، أو التوسل بدعائه وشفاعته ، فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا وهذا ، فلما لم يفعل الصحابة - رضوان الله عليهم - شيئاً من ذلك ، ولا دعوا بمثل هذه الأدعية ـ وهم أعلم منا وأعلم بما يحب الله ورسوله ، وأعلم بما أمر الله به ورسوله من الأدعية ، وما هو أقرب إلى الإجابة منا ، بل توسلوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي ﷺ ـ دل عدولهم عن التوسل بالأفضل إلى التوسل بالمفضول أن التوسل المشروع بالأفضل لم يكن ممكناً » [١] .

وقال - رحمه الله - : « وإن كان سؤالاً بمجرد ذات الأنبياء والصالحين فهذا غير مشروع ، وقد نهى عنه غير واحد من العلماء وقالوا إنه لا يجوز » [٢] .

فهذه الأنواع من التوسل كالتوسل بذوات المخلوقين ، أو بجاههم فيما لا يقدر عليه إلا الله ـ عز وجل ـ وسواءً كانوا أحياءً أم أمواتاً ، وسواءً كانوا أنبياء أم صالحين أم كانوا من عامة المؤمنين فهو توسل بدْعي وقد يصل إلى حد الشرك بالله عز وجل ، فهذه توسلات غير جائزة ولا مشروعة، لأنه لم يرد فيها دليل تقوم به الحجة .

ولا يجوز للمسلم أن يتقرب إلى الله ويتوسل إليه بغير ما شرعه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٣٢١- ٣٢٢).
(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٣٣٧) .

المطلب الثالث

الاستغاثة لغةً وشرعاً

أولاً : الاستغاثة لغةً :

ماخوذة من الغوث ، أي أجاب الله غوثاه وغُوائه وغَوائه ، وحكى ابن الأعرابي : أجاب الله غِيائه . والغُواث بالضم : الإغاثةُ .

وغَوَّث الرجلُ ، واسْتَغاثَ : صاح واغوثاه .

وفي الحديث : اللهم أغثْنا ، بالهمزة ، من الإغاثة .

واستغاثني فلانٌ فأغثْتُه .

وتقول : ضُرِبَ فلانٌ فَغَوَّث تغْويثاً إذا قال : واغوْثاه .

وقال ابن سيده : وغوَّث الرجل واستغاث : صاح واغوثاه .

ويقول الواقع في بليَّة : أغثني أي فرِّج عنِّي .

ويقال : استغثتُ فلاناً ، فما كان لي عنده مغوثه ولا غَوْث ، أي إغاثه .

والسؤال منه : غِثنا، ومن الإغاثه ، بمعنى الإعانة : أغثْنا [١] .

وأكثر ما يقال :(غياث المستغيثين)، ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم ، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين :(اللهم أغثنا اللهم أغثنا) [٢] .

ويقال : (أغاثه إغاثة وغياثاً وغوثاً) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٢ / ١٧٤) مادة (غوث) بتصرف . والنهاية في غريب الحديث والآثر ـ لابن الاثير (٣ / ٣٩٢) ، باب الغين مع الواو .

(٢) رواه البخاري : كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة (٢/ ٣٥) ح / ١٠١٤ ، ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء (٢ / ٦١٣) ح ٨٩٧ من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه .

وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب ، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال : ٩] . إلا أن الإغاثة أحق بالأفعال ، والاستجابة أحق بالأقوال ، وقد يقع كل منهما موقع الآخر [١] .

ثانياً : الاستغاثة شرعـــاً :

(هي عباوة عن طلب الغوث والاستنجاد والإنقاذ من الشدة والهلاك) .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - :

« الاستغاثه : هي طلب الإغاثه والتخليص من الكربة والشدة » [٢] .

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله - :

« الاستغاثة : هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار وهو طلب النصر » [٣] .

وقال ابن العربي [٤] رحمه الله « عند قول الله تعالى : ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص : ١٥] ، أي طلب غوثه ونصرته ، ولذلك قال في الآية بعدها ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ [القصص :١٨] ، وإنما أغاثه لأن نصر المظلوم دِينٌ في الملل كلها ، وفرضٌ في جميع الشرائع » [٥]

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيميه (١ / ٤٨٤) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

(٢) الاستغاثة في الرد على البكرى (ص٨٨) ـ الدار العلمية ـ دلهي ـ الهند ـ ط بدون .

(٣) الرسائل السلفية في إحياء سنة خير البرية (كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٣) .

(٤) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي الفقيه ، المحدّث المفسر ، الأديب ، المؤرخ ، المتكلم، الحافظ ، القاضي، برع في فنون عديدة وكان فصيحاً ثاقب الذهن ، ولد سنة ٤٦٨هـ في اشبيلية ، ومات بقرب فاس ، ودفن بها عام ٥٤٣هـ . له مؤلفات عديدة ، منها : (الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، الوصول إلى معرفة الأصول ، أحكام القرآن، الأحكام الصغرى) وغيرها . انظر: : تذكر الحفاظ / للذهبي (٤ / ١٢٩٤) ، طبقات الحفاظ / للسيوطي (ص٤٦٨) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢٠ / ١٩٧وما بعدها) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج٤ / ١٤١) المجلد الثاني ، الأعلام للزركلي (٦ / ٢٣٠) .

(٥) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ـ تحقيق علي محمد البجاوي (٣ / ١٤٦٥) دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

وفي الدعاء المأثور عن النبي ﷺ : « ياحي ياقيوم ، لا إله إلا أنت ، برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، ولا إلى أحد من خلقك »[١] .

والنبي ﷺ كان في حياته يستغاث به فيطلب منه أن ينصر المظلوم،ويطعم الجائع، ويسقي الظمآن ،ويخلص الأسرى ، ويقضي الدين عن المدين ونحو ذلك .

ومعلوم أن نبينا ﷺ أفضل الناس عملاً ، وأعظمهم حرصاً على البر والتقوى ، بل كل خير أرشد به ودل عليه فله مثل أجر كل عامل خير من أمته فإنه هو الذي دعا إلى ذلك ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً »[٢] .

واستغاثة الصحابة به في القحط ، إنما استغاثوا به ليدعو لهم كما يستغيث الناس به يوم القيامة ليشفع لهم .

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب الدعوات ، باب ٩٢(٥ / ٥٠٤)ح٣٥٣٤ ، وقال هذا حديث غريب وقد روي هذا الحديث عن انس من غير وجه ، ومجمع الزوائد (١٠ / ١٨٠) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ، مشكاة المصابيح / للتبريزي (٢ / ٧٥٨) برقم / ٢٤٥٤ .

(٢) رواه مسلم : كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة (٤ / ٢٠٦٠) ، ح٢٦٧٤ ، وأبو داود : كتاب السُّنَّة ، باب لزوم السُّنَّة (٥ / ١٦) ح ٤٦٠٩ ، والترمذي : كتاب العلم ، باب ما جاء فيمن دعاء إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة (٥ / ٤٢) ح٢٦٧٤ .

المطلب الرابع

الاستغاثة المثبتة في الكتاب والسنّة والمنهي عنها

إن دين الإسلام مبني على أصلين عظيمين :

أحدهما: أن لا يعبد إلا الله وحده.

والثاني : أن لا يعبد إلا بشريعة نبيه ورسوله محمد ﷺ ، وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن دعا الأموات من الأنبياء وغيرهم أو دعا الأصنام أو الأشجار أو الأحجار أو غير ذلك من المخلوقات أو استغاث بهم أو تقرب إليهم بالذبائح والنذر أو صلّى لهم أو سجد لهم فقد اتخذهم أرباباً من دون الله وجعلهم أنداداً له سبحانه وهذا يناقض هذا الأصل وينافي معنى لا إله إلا الله ،كما أن من ابتدع في الدين مالم يأذن به الله لم يحقق معنى شهادة أن محمداً رسول الله وقد قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان :٢٣] .

والاستغاثة مبناها على الكتاب والسُّنَّة ، فليست كل استغاثة حرام فهي تنقسم إلى قسمين هما :

القسم الأول : الاستغاثة المثبتة المشروعة وهي :

عبارة عن استغاثة بما يحبه الله ـ عز وجل ـ ويرضاه ، وهي تكون موافقة لما جاء به الشرع ، وهي أنواع :

الأول : الاستغاثة بالله ـ عز وجل ـ وهي الاستغاثة المأمور بها في الشرع،فلا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله سبحانه ، وكل غوث فهو من عنده سبحانه وتعالى ، وقد أخبر عن المؤمنين في استغاثتهم إياه يوم بدر بقوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال:٩] .

وكان ذلك حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: « **اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام**

لا تعبد في الأرض »[١] .

وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبه فأخذ أبو بكر[٢] رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ،وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله هذه الآية)[٣] .

وقد أمر الله تعالى عباده أن يدعوه ويستغيثوه ، فهو تعالى غياث المستغيثين المدرك لعباده في الشدائد ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر : ٦٠] ، (ويقصد بعبادتي : أي دعائي)[٤] .

الثاني : الاستغاثة بالنبي ﷺ أو بغيره فيما يدخل تحت مقدرتهم فهذا من الاستغاثة الجائزة شرعاً من ذلك استغاثة خزاعه حين قاتلتهما بنو بكر وأعانتهم على ذلك قريش بقولهم :

يارب إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلد...

واستغاثة أبي جندل وأبي بصير ، واستغاثة قريش بالرسول ﷺ من أبي بصير ومن معه ، ومن هذا النوع ما وردت به النصوص من الاستغاثة بالنبي ﷺ يوم القيامة ، وسنذكرها في مكانها إن شاء الله تعالى .

ومنها ما ذكره الله تعالى في قصة موسى عليه السلام بقوله : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ

---

(١) رواه مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، وإباحة الغنائم (٣ / ١٣٨٤) ح١٧٦٣ ، وأحمد في مسنده (١ / ٣٠ ، ٣٢) ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن أبي قحافة ، أبو بكر الصديق أفضل الأمة ، أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال ، ولد ونشأ بمكة وكان سيداً من سادات قريش ، وعالماً بانساب القبائل واخبارها وسياساتها ، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف عظيمة وكبيرة ، وقمع أهل الردة، وجمع القرآن الكريم ، دامت خلافته سنتين وثلاثة أشهر ، توفي سنة ١٣هـ وله ٦٣ سنة . انظر: أسد الغابة / لابن الاثير (٣ / ٣١٥-٣٤١) ، ترجمة رقم ٣٠٦١ / ، تاريخ الخلفاء / للسيوطي (ص٣٥-١٢١) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي (١ / ٢-٤) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٥١٣) برقم / ٣٤٧٨ .

(٣) جامع البيان في تاويل القرآن ــ لابن جرير (٦ / ١٨٨) .

(٤) جامع البيان في تاويل القرآن (١١ / ٧٣) ، والجامع لاحكام القرآن للقرطبي (١٥ / ٣٢٧) .

عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص : ٦٠] ، فهذه الاستغاثة فيما يقدر عليه موسى عليه السلام وهذا لا ينافي كمال التوحيد ، فهي تعتبر من الأمور الحسية التي يقدر عليها الحي المستغاثُ به الحاضر فليس ذلك من الشرك، بل ذلك من الأمور العادية الجائزة بين المسلمين ، (وكما يستغيث باصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق) (١) .

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : « ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور . . . مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجراً أو يحول بينه وبين عدوه الكافر، أو يدفع عنه سبعاً صائلاً أو لصاً أو نحو ذلك » (٢) .

وهذه من الأمور التي تعرض للناس ويحتاجون فيها إلى أن يستعين بعضهم ببعض .

القسم الثاني : الاستغاثة المنفية الممنوعة :

وهي عبارة عن استغاثة بما لا يحبه الله ـ عز وجل ـ ولا يرضاه، وليست موافقة لما جاء به الشرع ، وهي أنواع :

الأول : الاستغاثة بالنبي ﷺ أو الرجل الصالح في حال حياتهما وحضورهما فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، مثل غفران الذنوب وهداية القلوب ، وشفاء المرضى، والرزق والنصر،على الأعداء وغير ذلك فيما لا يقدر عليه إلا الله ـ عز وجل ـ فهذه استغاثة منفية ممنوعة ، وتعتبر من الشرك الأكبر الذي يُخرج من الملة ، والله ـ عز وجل ـ يقول في كتابه الكريم : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل : ٦٢] .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ : « أم ما تُشركون بالله خير ، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء النازل به عنه » (٣) .

---

(١) مجموعة التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب النجدي ـ تحقيق / بشير محمد عيون (١ / ١١٢) مكتبة المؤيد ـ الرياض ـ السعودية ـ ط (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) .

(٢) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية) (ص٣) .

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١٠ / ٦) .

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : « وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به كغفران الذنوب والهداية وانزال المطر والرزق ونحو ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص : ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٣] » (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فأما مالا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فلا يجوز أن يطلب إلا من الله سبحانه،لا يطلب ذلك لا من الملائكة ولا من الأنبياء، ولا من غيرهم، ولا يجوز أن يقال لغير الله : اغفر لي ، واسقنا الغيث ، وانصرنا على القوم الكافرين ، أو أهد قلوبنا ، ونحو ذلك » (٢) .

وقول النبي ﷺ : « **إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله** » (٣) .

(فاستغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق . . وكاستغاثة المسجون بالمسجون) (٤) .

الثاني : الاستغاثة بالميت سواء كان نبياً أو غيره :

فأما النبي ﷺ بعد موته ، فلم يرد دليل على الاستغاثة به من قبل الصحابة أو التابعين ، (فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف دعاؤه نفسه) (٥) .

---

(١) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية) (ص ٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣٢٩) .

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٠/ ٣٧٣) ح ٢٩٨٦٢ ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط بدون ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ١٥٩) رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيحين غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث . أ.هـ . ، وأحمد في مسنده (٥ / ٣١٧) بلفظ (لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى) من حديث أبي بكر رضي الله عنه .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١ / ٣٣٠) ـ بزيادة يسيرة .

(٥) مجموعة التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١ / ١١٢) .

وأما غيره كما يعتقد بعض غلاة الصوفية المنحرفة في شيوخهم أن لهم تصرفاً في الكون بعد الممات أو حكايات مكذوبة لسدنة القبور ليأكلوا بها أموال الناس بالباطل ، فهذا يعتبر من الشرك بالله ـ عز وجل ـ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفي مغيبهم وسؤالهم والاستغاثة بهم في هذه الحال ونصب تماثيلهم ـ بمعنى طلب الشفاعة منهم ـ هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولاً ولا أنزل به كتاباً ، وليس هو واجباً ولا مستحباً باتفاق المسلمين ، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين »[١] .

وقال رحمه الله تعالى : « فإنه لا يمكن أحد أن يقول إن النبي ﷺ شرع لأمته أن يستغيثوا بميت لا نبي ولا غيره ، لا في جلب منفعة ولادفع مضرة ، لا بهذا اللفظ ولا معناه »[٢] .

وقد أنزل الله النهي عن دعوة الأنبياء والصالحين والملائكة فقال سبحانه : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً** ﴾[الإسراء:٥٦] .

والآيات بعدها نزلت فيمن يدعو المسيح وأمه والعزير والملائكة ، في قول أكثر المفسرين من السلف ، وعلى هذا فتعتبر الاستغاثة بالميت منفية مطلقاً وعلى كل حالٍ وفي كل شيء .

قال ابن القيم[١] **ـ رحمه الله ـ :** عند كلامه عن الشرك الأكبر ومن أنواعه :

❁ « طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٥٩) .

(٢) كتاب الاستغاثة في الرد على البكري ـ تحقيق / عبد الله بن دجين السّهيلي (١ / ٤٠٧) ، دار الوطن ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

(٣) هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي ، الفقيه الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية ، المولود عام ٦٩١هـ في دمشق ، المجتهد المفسر ، النحوي الأصولي ، تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مدة طويلة ، وسمع من الشهاب النابلسي ، وإسماعيل بن مكتوم ، قال عنه ابن رجب (كان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة .. لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت اوسع منه علماً ..) وقد امتحن واوذي مرات ، وحُبس كذلك .. توفي عام ٧٥١هـ في دمشق ألف =

العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فضلاً عمن استغاث به ، وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده » [١] .

الثالث : الاستغاثة بالنبي ﷺ والرجل الصالح في حال غيبتهما:

وهذا أيضاً لا يجوز فيعتبر من الاستغاثة الممنوعة، فإن الغايب لا يسمع الاستغاثة ولا يعلم الغيب، ولذا يقول الله ـ عز وجل ـ عن نبينا محمد ﷺ يقول : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

فمن استغاث بمن لا يعلم الغيب استغاثة في حال غيبته فقد وقع في الشرك بالله ـ عز وجل ـ أو أقل ما يحكم عليه بأن هذا النوع من الاستغاثة شرك بالله ـ عز وجل ـ .

الرابع : الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية :

مثل : أن يستغيث الغريق برجل مشلول ، فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلّة ، ولعلّة أخرى وهي : أن الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة[٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « لا يجوز ذلك " أي الاستغاثة " من ميت ولا غائب ولا من حي حاضر ، إلا فيما يقدر عليه خاصة » [٣] .

= كثيراً من الكتب التي تربو على خمسين مؤلفاً ، منها : (إعلام الموقعين ، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، وزاد المعاد ، واحكام أهل الذمة ، وتهذيب سنن أبي داوود) وغيرها . انظر: : الدرر الكامنة / لابن حجر (٣/ ٤٠٠-٤٠٢) ، دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج / ١٦٨ - ١٧١) المجلد الثالث ، البداية والنهاية / لابن كثير (ج ١٤/ ٢٤٦) المجلد السابع ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨) .

(١) مدارج السالكين ـ تحقيق/ محمد حامد الفقي (١ / ٣٤٦) ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثانية (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) .

(٢) شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين رحمه الله تعالى (ص٦٦) ـ دار التراث للنشر والتوزيع .

(٣) تلخيص كتاب الاستغاثة / لابن تيمية (ص٣٧) دار أطلس للنشر والتوزيع ـ ط بدون (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .

المطلب الخامس

الفرق والعلاقة بين الشفاعة والتوسل والاستغاثة

نجد من خلال ما سبق من معاني كلٍ من (الشفاعة ، والتوسل ، والاستغاثة) ، ان العلاقة بينها تكون في الدعاء والسؤال .

فالشفاعة عبارة عن طلب لدرء المفاسد وجلب المصالح للعبد ، وهي شاملة للسؤال من الشافع في الشفاعة .

ولكن نجد أن الاستغاثة والتوسل مع شمولهما للسؤال ، أن التوسل أعم من الاستغاثة ، ففي الاستغاثة لا يقال : استغثت إليك بفلان يا فلان أن يفعل بي كذا وإنما يقال : استغثت بفلان أن يفعل بي كذا ، وفي التوسل يقال ذلك .

كما أن من سأل بشيء أو توسل به لا يكون مخاطباً له ولا مستغيثاً به ، لأن قول السائل المتوسل أتوسل إليك يا إلهي بفلان إنما هو خطاب لله ، لا لذلك المتوسل به ، بخلاف المستغاث به فإنه مخاطب مسئول منه الغوث .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في رده على من فسر الاستغاثة بالتوسل :

« أن يقال هذا الرجل فسر الاستغاثة بالتوسل بقوله : أن كل من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربة فقد استغاث به سواء كانت بلفظ الاستغاثة والتوسل أو غيره .

وقال : قول القائل أتوسل إليك برسولك واستغيث برسولك عندك أن تغفر لي استغاث بالرسول حقيقة في لغة جميع الأمة .

وهذا الكلام وإن كان باطلاً كما تقدم فالمقصود هنا أنه جعل الذي يسأل الله به مستغيثاً به،وهنا قد جعل الاستغاثة بسؤاله، فقد جعل المستغيث به مستغيثاً بالله، فالمعنى لايصح إذا أريد به :السؤال به فإن الله تعالى هو مسئول لا مسئول به، وحينئذ فما قال في الاستغاثة به يناقض ما تقدم إلا أن يجعل الاستغاثة تعم النوعين فيلزمه أن يجعل كل من سأل النبي ﷺ شيئاً فإنما سأل الله ، ويلزمه ذلك من غيره ،

وحينئذ فيسأل المخلوق كما يسأل الخالق،وهذا لا يقوله عاقل فضلاً عن مسلم»[١] .

ونستخلص مما تقدم : أن الشفاعة والتوسل والاستغاثة ، يجتمعن في أن كل واحد منها فيه التوجه إلى الغير بالدعاء ، والمسألة .

بينما الشفاعة والتوسل يفارقان الاستغاثة في العموم والخصوص ، فنجد أن التوسل والشفاعة أعم من الاستغاثة كون التوسط بين المتوسل والمتوسل إليه والمستشفع موجودة وهو المتوسل به والمستشفع به .

وبينما الاستغاثة أخص من التوسل والشفاعة لأنه لا يوجد بين المستغيث والمستغاث به أحد فيتصل المستغيث بالمستغاث به مباشرة .

فالتوسل والشفاعة يكون كل منهما بواسطة وبغير واسطة ، بينما لا تكون الاستغاثة إلا بدون واسطة .

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية (ص١٩١) .

المبحث الثالث
الشفاعة في أمور الدنيا

المراد بهذه الشفاعة هي : (التوسط لدى أصحاب الجاه والسلطان ونحوهم من أصحاب الحقوق ، والسعي إليهم لقضاء حوائج الآخرين بإعطائهم حقوقهم وحاجاتهم، أو درء مظلمة عنهم ، فهي عبارة عن السعي في حق أحد الناس بالخير .

ولا شك أن الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ ليست كالشفاعة عند البشر في الدنيا ، فنجد من أعظم الفروق أن الشفاعة عند البشر قد تحصل بدون إذن المشفوع إليه ، أو بدون رضاه عن المشفوع له ، وذلك لأي سبب من الأسباب ، والتي تدل على تأثير المخلوق في المخلوق ، بخلاف الشفاعة عند الله تبارك وتعالى ، فلا تحصل إلا بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له ، فإن الله تعالى بيده كل شيء ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا يؤثر فيه شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ موضحاً ذلك : « وإذا كان الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، فما بقي الشفعاء شركاء ، كشفاعة المخلوق عند المخلوق ، فإن المخلوق يشفع عند نظيره ، أو من هو أعلى منه، أو دونه ، بدون إذن المشفوع إليه، ويقبل المشفوع إليه ولا بد شفاعته :إما لرغبته إليه، أو فيما عنده من قوة أو سبب ينفعه به أو يدفع عنه ما يخشاه ، وإما لرهبته منه ، وإما لمحبته إياه ، وإما للمعاوضة بينهما والمعاونة ، وإما لغير ذلك من الأسباب .

وتكون شفاعة الشفيع هي التي حركت إرادة المشفوع إليه ، وجعلته مريداً للشفاعة بعد أن لم يكن مريداً لها ، كآمر الآمر الذي يؤثر في المأمور ، فيفعل ما أمره به بعد أن لم يكن مريداً لفعله »[1] .

ونجد أن البشر يحتاجون إلى الشفاعة فيما بينهم في أمور الدنيا وذلك لجهلهم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ٣٨١) .

أحوال الناس وهذه الشفاعة على نوعين : شفاعة مباحة وشفاعة محرمة .

قال الإمام النووي[١] ـ رحمه الله ـ في بيان ذلك : « اعلم أنه تستحب الشفاعة إلى ولاة الأمر وغيرهم من أصحاب الحقوق والمستوفين لها مالم تكن شفاعةً في حدٍّ أو شفاعةً في أمر لا يجوز تركه، كالشفاعة إلى ناظر على طفل أو مجنون أو وقف أو نحو ذلك ، في ترك بعض الحقوق التي في ولايته ، فهذه كلها شفاعة محرَّمة يحرم على الشافع ويحرم على المشفوع إليه قبولها، ويحرم على غيرهما السعي فيها إذا علمها .

ودلائل جميع ما ذكرته ظاهرة في الكتاب والسُّنَّة وأقوال علماء الأمة ، قال الله تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [النساء : ٨٥] » [٢] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « وكل من أعان غيره على أمرٍ بقوله أو فعله فقد صار شفيعاً له ، والشفاعة للمشفوع له هذا أصلها ، فإن الشافع يشفع صاحب الحاجة فيصير له شفْعاً في قضائها لعجزه عن الاستقلال بها ، فدخل في حكم هذه الآية كل متعاونين على خيرٍ أو شرٍ بقولٍ أو عمل » [٣] . وهذا التعريف شامل لنوعي الشفاعة المباحة والمحرمة كما سنوضح ذلك في المطلبين الآتيين .

---

(١) هو أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحازمي الحوراني النووي الشافعي ، الحافظ الزاهد أحد أعلام الأمة . ولد سنة ٦٣١هـ في نوى (من قرأ حوران بسهوريا) وإليها نسبته ، كان علاّمة بالفقه والحديث ، توفي سنة ٦٧٦هـ في قريته نوى ، له مصنفات كثيرة من أشهرها : (شرح صحيح مسلم ، والمجموع شرح المهذب ، رياض الصالحين ، الأذكار) وغير ذلك . انظر: : شذرات الذهب / لابن العماد (٥ / ٣٥٤ – ٣٥٦) ، البداية والنهاية / لابن كثير(١ / ٢٩٤)، المجلد السابع ، النجوم الزاهرة / ليوسف تغري الأتابكي (٧ / ٢٧٨) ـ طبعة مصورة عن مطبعة دارا لكتب ـ وزارة الثقافة ـ مصر ط بدون ، الأعلام / للزركلي (٨ / ١٤٩) .

(٢) الأذكار للإمام النووي ـ تحقيق / عبدالقادر الأرنؤوط (ص ٤٦٨ – ٤٦٩) ، دار الهدى ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثالثة (١٤١٠هـ – ١٩٩٠م) .

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين / لابن القيم (ص٣٧٥) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

المطلب الأول

الشفاعة المباحة (المشروعة)

الشفاعة المباحة هي الشفاعة لدى الآخرين من أجل تخليص الحقوق أو درء المظالم ، أو نحو ذلك من حاجات الناس المباحة .

وقد جاءت السُّنَّة المطهرة ببيان ما يحل من الشفاعة وما يحرم ، وقد فعل ذلك النبي ﷺ فقد طلب الصحابة منه ﷺ الدعاء فدعا لهم وحصل بدعوته بركة ومنفعة في الحياة الدنيا ، وكذلك شفاعته ﷺ عند بريره ، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريره كان عبداً يقال له : مُغيثٌ ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبي ﷺ لعباس : « يا عباس : ألا تعجبُ من حب مُغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثاً ؟، فقال النبي ﷺ : " لو راجعْتِه" ، قالت : يا رسول الله ، تأمرني ؟ قال : " إنما أنا أشفع " قالت : لا حاجة لي فيه »[١] .

وكذلك أمره ﷺ بذلك كما دلت الأحاديث الصحيحة منها :

عن أبي موسى الأشعري[٢] رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال : « اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيّه ما أحب »[٣] .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : « فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج

---

(١) رواه البخاري : كتاب الطلاق ، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة (٧ / ٦٢) ح / ٥٢٨٣ ، وأبو داود: كتاب الطلاق ، باب في المملوكة تعتق وهي تحت حر أو عبد (٢ / ٦٧٠) ح / ٢٢٣١ .

(٢) عبد الله بن قيس بن سليم بن حَضَّار ، أبو موسى الأشعري ، مشهور باسمه وكنيته معاً ، قدم المدينة بعد خيبر ، من كبار الصحابة وفقهائهم ، كان حسن الصوت بالقرآن حتى قال الرسول عليه الصلاة والسلام عنه (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل دواد) وهو أحد الحكمين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، مات سنة ٤٢ هـ ، وعمره ٦٣ عاماً ، انظر: الإصابة (٢/ ٢٥٩-٢٦٠) (ترجمة رقم٤٨٩٨) ، أسد الغابة (٣/ ٣٧٦ - ٣٧٧) ترجمة رقم٣١٣٥ / ، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٠ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ٤٤١) رقم / ٣٥٥٣ .

(٣) رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام(٤ / ٢٠٢٦) ح ٢٦٢٧، وأحمد في مسنده (٤ / ٤٠٠) .

المباحة سواءٌ كانت الشفاعة إلى سلطان ووالٍ ونحوهما أم إلى واحد من الناس وسواءٌ كانت الشفاعة إلى سلطان من ظلم أو إسقاط تعزير أو في تخليص عطاء لمحتاج أو نحو ذلك » (١) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجةٌ قال : « **اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء** » (٢) .

وصاحب الشفاعة الحسنة يثاب عليها حتى ولو لم تقبل شفاعته ، فقد بذل الشافع السبب ، وهو ما يستطيعه .

وقد روى ابن جرير الطبري عن الحسن البصري(٣) ـ رحمه الله ـ أنه قال : « من يُشَفَّع شفاعة حسنة كان له فيها أجران ، ولأن الله يقول : ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا** ﴾ [النساء : ٨٥] ، ولم يقل " يشفَّع " » (٤) .

وكذلك ما ورد في معنى الحديث السابق : « اشفعوا يحصل لكم الأجر مطلقاً ، سواء قضيت الحاجة أو لا » (٥) .

وقال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا** ﴾ ، أي من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (ج١٦ / ١٧٧-١٧٨) المجلد السادس ـ دار الريان ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى ـ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

(٢) رواه البخاري كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، والشفاعة فيها(٢ / ١٤٠)ح١٤٣٢، وأحمد في مسنده(٤ / ٤٠٩).

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري بن أبي الحسن، تابعي ، مولى زيد بن ثابت ، وقيل غيره ، ولد بالمدينة عام ٢١هـ في زمن عمر بن الخطاب ، كان إمام أهل البصرة في زمانه وحبر الأمة ، وله مع الحجاج مواقف وقد سلم من أذاه ، مات بالبصرة سنة ١١٠هـ ، له : (التفسير ، وكتاب إلى عبد الملك بن مروان في الرد على القدرية) . انظر: طبقات المفسرين / للداودي (١ / ١٤٧) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي (١ / ٧١) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ٤ /٥٦٣ وما بعدها) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٢٠٢) برقم / ١٢٣١ ، الأعلام / للزركلي (٢ / ٢٢٦) .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ((٤ / ١٨٨) .

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٣ / ٣٥٢) .

نصيب من ذلك .

وقال مجاهد بن جبر[١] : « نزلت هذه الآية في شفاعات الناس، بعضهم لبعض »[٢] .

(١) هو الإمام أبو الحجاج المكي مجاهد بن جبر ، شيخ القراء والمفسرين ، تابعي مفسر من أهل مكة مولى السائب بن أبي السائب المخزومي ـ وقيل غيره ـ ولد عام ٢١هـ ، أشهر تلاميذ ابن عباس ، أخذ عنه القرآن والتفسير والفقه ، استقر في الكوفة ، توفي عام ١٠٣هـ ـ وقيل غير ذلك ـ وقد بلغ ٨٣ سنة ، يقال أنه مات وهو ساجد . انظر: : طبقات ابن سعد (٥ / ٤٦٦) . سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٤٩ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (٥ / ٢٧٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١ / ٥٤٤) .

المطلب الثاني

الشفاعة المحرمة (غير مشروعة)

وهي عبارة عن الشفاعة في إبطال الحقوق ، أو إقرار الباطل أو تعطيل حد .

قال الإمام النووي - رحمه الله - في بيان ذلك : « .. وأما الشفاعة في الحدود فحرام ، وكذا الشفاعة في تتميم باطل أو إبطال حق ونحو ذلك فهي حرام »[١] .

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يُكلّم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلّم رسول الله ﷺ فقال: **«أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله ؟ ثم قام فخطبَ فقال : يا أيها الناس إنما ضلَّ من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرقَ الشريف تركوه ،وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدَّ ، وأيمُ اللهِ لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعَ محمدٌ يدها»**[٢] .

قال ابن حجر[٣] **- رحمه الله - :** « وفي هذا الحديث من الفوائد منع الشفاعة في الحدود ، ففي الترجمة الدلالة على تقييد المنع بما إذا انتهى ذلك إلى أولى الأمر ،

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٦ / ١٧٨) المجلد السادس .

(٢) رواه البخاري: كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحدّ إذا رُفِعَ إلى السلطان(٨/ ١٩٩) ح ٦٧٨٨ ، ومسلم : كتاب الحدود ، باب قطع يد السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود (٣ / ١٣١٥) ح١٦٨٨ ، واللفظ للبخاري .

(٣) هو الإمام الحافظ الشهير أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني أبو الفضل ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ومولده بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ ، انفرد بمعرفة الحديث وعلله في الزمن المتأخر ، حفظ القرآن وهو ابن تسع ، وبعض متون العلم ، ورحل إلى بلدان كثيرة لطلب العلم ، أطلق عليه لفظ الحافظ ، ورحل الطلبة إليه ، وانتشرت مؤلفاته في حياته وهي كثيرة جداً منها ما كمل ومنها ما لم يكمل . توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ ، من أشهر مصنفاته : (فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لسان الميزان ، تهذيب التهذيب ، بلوغ المرام من أدلة الأحكام) وغيرها . انظر: شذرات الذهب / لابن العماد (ح٧ / ٢٧٠) المجلد الرابع ، البدر الطالع / للشوكاني (١ / ٨٧ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي (١ / ١٧٨) ، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر / لمحمد بن عبدالرحمن السخاوي ـ تحقيق: إبراهيم باجس عبدالمجيد ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى(١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع / شمس الدين السخاوي (ج٢ / ٣٦) المجلد الأول ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤١٢هـ ١٩٩٢م) .

واختلف العلماء في ذلك فقال : أبو عمر بن عبدالبر لا أعلم خلافاً أن الشفاعة في ذوي الذنوب حسنة جميلة مالم تبلغ السلطان ، وأن على السلطان أن يقيمها إذا بلغته . وذكر الخطابي وغيره عن مالك أنه فرق بين من عُرِفَ باذى الناس ومن لم يُعرف ، فقال : لا يشفع للأول مطلقاً سواء بلغ الإمام أم لا ، وأما من لم يعرف بذلك فلا بأس أن يُشفع له مالم يبلغ الإمام » [١] .

ففي هذا دلالة واضحة على منع الشفاعة في الحدود إذا بلغت ولي الأمر .

وقال ﷺ : « **اشفعوا في الحدود مالم تبلغ السلطان ، فإذا بلغت السلطان فلا تشفعوا** » [٢] .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : « وقد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلى الإمام لهذه الأحاديث وعلى أنه يحرم التشفيع فيه فأما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس فإن كان؛ لم يشفع فيه وأما المعاصي التي لا حد فيها وواجبها التعزير فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا ، لأنها أهون ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه » [٣] .

وقد ورد تهديدٌ من النبي ﷺ فيمن كانت شفاعته في حدٍ بلغ السلطان في أحاديث في الصحاح كما سبق ، وأحاديث في السنن وغيرها ، منها :

❁ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من حالت شفاعته دون حدٍ من حدود الله - عز وجل - فقد ضاد الله في أمره** » [٤] .

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢ / ٩٨) .

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى : كتاب الأشربة والحد فيها ، باب ما جاء في الشفاعة بالحدود (٨ / ٣٣٣) دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ، ط (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) ، من حديث عروه بن الزبير رضي الله عنه .

(٣) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١١ / ١٨٦) المجلد الرابع .

(٤) رواه أبو داود : كتاب الأقضية ، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم امرها (٤ / ٢٣) ح٣٥٩٧ ، واحمد في مسنده(٢ / ٧٠) ،والبيهقي في السُنن الكبرى : كتاب الأشربة والحد فيها ، باب ما جاء في الشفاعة بالحدود(٨ / ٣٣٢)، والحاكم في المستدرك : كتاب البيوع(٢ / ٢٧) ح ٢٢٢٢ ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ، والحديث صحيح : انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته / للألباني برقم ٦١٩٦ .

وعن عروة بن الزبير[١] قال : « شفع الزبير في سارق ، فقيل: حتى يبلغه الإمام ، فقال : إذا بلغ الإمام فلعن الله الشّافعَ والمشَّفعَ كما قال رسول الله ﷺ »[٢] .

وعن صفوان بن أميه رضي الله عنه[٣] قال : « كنت نائماً في المسجد على خميصة لي ثمن ثلاثين درهماً ، فجاء رجل فاختلسها مني ، فأُخذ الرجل ، فأُتى به إلى النبي ﷺ ، فأمر به ليقطع قال : فأتيته ،فقلت : أتقطعه من أجل ثلاثين درهماً ، أنا أبيعه وأنسيه ثمنها ، قال : " فهلّا كان هذا قبل أن تأتيني به" »[٤] .

فهذه أدلة صريحة في عدم جواز الشفاعة في الحدود بعد بلوغ السلطان ، أو إبطال حقوق ، أو إقرار باطل وغيرها .

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي ، ولد سنة ثلاث وعشرين هجرية ، من كبار الطبقة الثانية من التابعين ، وكان فقيهاً عالماً عابداً ، ثقة كثير الحديث ، توفي سنة ٩٣هـ ، وقيل ٩٤هـ وعمره ٦٧ عاماً ، انظر:تهذيب التهذيب(٧/ ١٨٠-١٨٥)ترجمة رقم ٣٥١/سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢١ وما بعدها)، الأعلام للزركلي (٤ / ٢٢٦).

(٢) رواه الدار قطني في سننه (٣ / ٢٠٥) ح٣٦٤ ، دار المحاسن للطباعة ــ القاهرة ــ مصر ــ ط بدون ، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٩٠) .

(٣) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح القرشي الجمحي، يكنى أبا وهب وقيل أبو أمية ، أسلم بعد فتح مكة ، كان من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، مات بمكة أيام قتل عثمان ، وقيل سنة ٤٢هـ أول خلافة معاوية ، وقيل ٤١ هـ ، انظر: : تهذيب التهذيب (٤ / ٤٢١ ، ٤٢٥) ، الإصابة (٢ / ١٨٩) ترجمة رقم / ٤٠٨٠ ، أسد الغابة (٣ / ٢٨) ترجمة رقم / ٢٥١٥ ، سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٦٢ وما بعدها) .

(٤) رواه أبو داود : كتاب الحدود ، باب من سرق من حرز (٤ / ٥٥٣) ح٤٣٩٤ ، وأحمد في مسنده (٦ / ٤٦٦) ، والنسائي في سننه الكبرى : كتاب قطع يد السارق ، باب ما يكون حرزاً وما لا يكون (٤ / ٣٣٠) ح ٧٣٦٩ ، وابن ماجه : كتاب الحدود ، باب من سرق من الحرز ٢ / ٨٦٥) ح٢٥٩٥ ، والحاكم في مستدركه : كتاب الحدود (٤ / ٤٢٢) ح٨١٤٩ ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ورواه الدار قطني في سننه ٣/ ٢٠٤، ح٣٦٢، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٨٩-٩٠) ، وانظر: مشكاة المصابيح : باب قطع يد السارق تحقيق الالباني (٢/ ١٠٦٧) . برقم ٣٥٩٨ .

المطلب الثالث

حكم الاستجابة لطلب الشافع

أما حكم استجابة الشافع فيترتب على حكم الأمر المشفوع فيه ، وبهذا تنطبق عليه الأحكام الشرعية الخمسة .

فإن كان الأمر المشفوع فيه واجباً ، كرد مظلمة أو تخليص حق أو نصرة لمظلوم ، كان حكم طاعة الشافع الوجوب .

وإن كان الأمر المشفوع فيه محرماً ، كشفاعة رجل لآخر بشرب الخمر أو ترك فرض من الفروض الواجبة عليه ، أو الشفاعة في حدٍ من حدود الله بعد بلوغه السلطان ، لقوله ﷺ لأسامة [١] بن زيد - رضي الله عنهما - « أتشفع في حدٍ من حدود الله » [٢] فيكون حكم طاعة الشافع محرم .

وإن كان الأمر المشفوع فيه مندوباً ، كشفاعة رجل لآخر وجب عليه التعزير ولم يبلغ الحد ، ولم يكن صاحب شرٍ وأذى للناس في الأصل ، فيكون حكم طاعة الشافع في هذه الحالة مندوباً .

وإن كان الأمر المشفوع فيه مكروهاً ، كشفاعة رجل لآخر صاحب شر وأذى للناس وجب عليه التعزير أو الحد قبل بلوغه السلطان ، فحكم طاعة الشافع مكروهة .

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن امرئ القيس الكلبي ، ولد بمكة ونشأ على الإسلام ، أمه : أم أيمن حاضنة النبي ﷺ ، يكنى أبا محمد ، وقيل أبو زيد ، وقيل أبو يزيد ، وقيل أبو خارجه ، وهو مولى رسول الله ﷺ من أبويه ، وكان يسمى حِبَّ رسول الله ﷺ واستعمله النبي وهو ابن ثماني عشرة سنة ، ولم يبايع علياً ولا شهد معه شيئاً من حروبه ، توفي أيام معاوية سنة ثمان أو تسع وخمسين هجرية ، وقيل توفي سنة ٥٤هـ - ورجحه ابن الأثير - وقيل توفي قبل قتل عثمان بالجرف - وهو موضع بينه وبين المدينة ثلاثة أميال ، وحُمل المدينة - وعمره ٧٥ عاماً ، له في كتب الحديث ١٢٨ حديثاً ، انظر: أسد الغابة (١ / ١٠١-١٠٤) ترجمة رقم/ ٨٤ ،سير أعلام النبلاء (٢ / ٤٩٦ ٥٠٧) ، تقريب التهذيب (١ / ٧٦ رقم / ٣١٦) .

(٢) سبق تخريجه ص ٧٦ .

وإن كان الأمر المشفوع فيه مباحا ، كشفاعة رجل لآخرين في وضع دَيْنه والتسامح عنه للمدين ، فحكم طاعة الشافع مباحة .

ومن ذلك أيضاً حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال لبريرة : « " **لو راجعْته** " ، قالت يا رسول الله تامرني ، قال : **إنما أنا أشفع** ، قالت : لا حاجة لي فيه »[1] ..

---

(١) سبق تخريجه ص ٧٣ .

الفصل الثاني

حكم الإيمان بثبوت الشفاعة وأدلتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأدلة على الشفاعة.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الأدلة من القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: الأدلة من السُّنَّة النبوية.
- المطلب الثالث: دليل الإجماع.

المبحث الثاني: حكم الإيمان بثبوت الشفاعة.

المبحث الأول

الأدلة على الشفاعة وفيه

المطلب الأول

الأدلة من القرآن الكريم

إن الأدلة على إثبات الشفاعة يوم القيامة بأنواعها مستفيضة في الكتاب والسُّنَّة، وإجماع السلف الصالح .

فقد ورد في القرآن الكريم آيات في ذلك تتعلق بأمر الشفاعة في الآخرة ، وذلك من حيث إثباتها والتأكيد على شروطها ، ونفيها عن غير مستحقيها ، ونحو ذلك وسيأتي الكلام مفصلاً عن شروط الشفاعة في موضعه (*) بإذن الله تعالى .

أولاً : الآيات الدالة على عدم تحقق الشفاعة إلا بشروطها منها :

قول الله تعالى :﴿ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقول الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس : ٣] .

وقول الله تعالى :﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴿١٠٩﴾ ﴾ [طه : ١٠٩] .

---

(١) في المبحث الثالث من الفصل الثالث .

وقول الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾ [النجم : ٢٦] .

ثانياً : الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير مستحقيها منها :

قول الله تعالى عن الكفار : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) ﴾ [الأنعام : ٥١] .

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) ﴾ [غافر : ١٨] .

وقول الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) ﴾ [المدثر : ٤٨] .

ونفي الشفاعة عن غير مستحقيها من الكفار وغيرهم من أهل الشرك والإلحاد في هذه الآيات وغيرها يدل بمفهومه على انتفاع المؤمنين بها .

ولا حجة لمن يرى أن الشفاعة منتفية نفياً مطلقاً ، ولا يعني نفيها عن غير مستحقيها أنها تنتفي عن سائر الأقوام ، فإن هذا لا يقول به عاقل ، وقد ذكر الله مراراً في سورة البقرة للتأكيد قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) ﴾ [البقرة:٤٨-١٢٣]، وقد تكررت مرتين في نفس السورة ، فالشفاعة في الآيتين منفية عن قوم بعينهم هم بنو إسرائيل،بدليل خطاب الله لهم في الآية السابقة مباشرة ، وذلك في قوله سبحانه:﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٧-١٢٢] .

وكذلك من سار على نهجهم في الشرك والإلحاد ، ومخادعة الله ورسوله ، والاستنقاص بدين الله عز وجل ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

المطلب الثاني
الأدلة من السنّة النبوية

لقد ورد في السنّة النبوية أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر ، وهي صحيحة وصريحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة .

فإذا كان القرآن الكريم قد أكد على الشروط والضوابط للشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة فإن السنّة قد شرحت ووضحت أنواع الشفاعة وصفتها ، وكذلك الشفعاء والمشفوع لهم كما سنوضح ذلك لاحقاً بإذن الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة ، منها في الصحيحين أحاديث متعددة ، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده »[١]

« فشفاعة النبي ﷺ نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي »[٢]

فمن هذه الأدلة ما يلي :

❁ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا سيّد ولد أدم يوم القيامة . وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفّع** »[٣] .

❁ وعن جابر[٤] بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **أعطيت خمساً**

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٣٤) .

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢ / ٢٠٨) مع زيادة يسيرة .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٤ / ١٧٨٢) ح٢٢٧٨ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٥٤٠) .

(٤) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم الأنصاري السلمي ، أحد المكثرين للرواية عن رسول الله ﷺ شهد العقبة ، وأكثر المشاهد مع رسول الله ﷺ وكانت له بعد وفاة رسول الله حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، توفي سنة ٧٤ وقيل ٧٦ وقيل ٧٧هـ وعمره ٩٤ عاماً ، انظر : الإصابة (٢ / ٤٥) ترجمة رقم ١٠٢٢ / مكتبة ابن تيمية ، أسد الغابة ٢/٣٧٧ - ٣٧٩ ترجمة رقم ٦٤٧ سير أعلام النبلاء (٣/١٨٩ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (١ / ١٥٣) رقم / ٨٧٣ .

لم يعطهُنَّ أحدٌ قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ،فأيما رجُلٍ من أُمتي أدركته الصلاة فليُصلِّ ، وأحلت لي المغانم ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي ، وأعطيتُ الشفاعة ، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً ، وبعثت إلى الناس عامّة » (١) .

❁ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لكل نبي دعوةٌ قد دعا بها فاستجيبَ ، فجعلتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة » (٢) .

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لكل نبي دعوةٌ يدعوها ، فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة » (٣) .

❁ وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ . فتعجَّل كل نبيٍّ دعوته ، وإنّي اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلةٌ إن شاء الله ، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » (٤) .

❁ وعن أبي سعيد(٥) الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في حديث طوّل جاء فيه :« .. فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ،

---

(١) رواه البخاري : كتاب التيمم ، الباب الأول (١ / ٨٦) ح / ٣٣٥ ، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب أول الكتاب ـ الباب الأول (١ / ٣٧٠-٣٧١) ح٥٢١ ، واللفظ للبخاري .

(٢) رواه البخاري : كتاب الدعوات ، الباب الأول (٨ / ٨٢) ح / ٦٣٠٥ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١ / ١٨٩) ح١٩٩ ، واللفظ للبخاري .

(٣) رواه البخاري : كتاب الدعوات ، الباب الأول (٨ / ٨٢) ح / ٦٣٠٤ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ ، دعوة الشفاعة لأمته (١ / ١٨٨) ح١٩٨ . واللفظ لمسلم .

(٤) رواه مسلم: كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (١ / ١٨٩) ح١٩٩ ، رواه أحمد في مسنده (٢ / ٤٢٦) .

(٥) سعد بن مالك بن سنان بن الأبجر وهو: عذرة بن عوف الأنصاري الخزرجي ، استصغر بأحد واستشهد أبوه بها ، ولغزا هو ما بعدها ، كان من المكثرين للحديث عن رسول الله ﷺ ، وكان افقه أحداث الصحابة ، مات سنة ٧٤هـ ، وقيل غير ذلك ، وكانت وفاته بالمدينة ودفن بالبقيع ، وعمره ٨٦ عاماً ، انظر: الإصابة (٢ / ٣٥) ترجمة رقم / ٣١٩٦ ،أسد الغابة (٢ / ٤٣٢ - ٤٣٣) ترجمة رقم ٢٠٣٦ / سير أعلام النبلاء (٣ / ١٦٨) ، وما بعدها) ، تذكرة الحفاظ (١ / ٤٤) ، تقريب التهذيب (١ / ٣٤٥) رقم / ٢٢٦٠ .

ولم يبق إلا أرحم الراحمين . . . »[١] .

❁ وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أمّا أهل النّار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناسٌ أصابتهم النّارُ بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم أماتةً ،حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر[٢] ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثمّ قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حميل السيل »[٣] .[٤] .

❁ وكذلك في حديث الشفاعة الطويل قول النبي ﷺ : « . . فأقول يا رب أئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ، فيقول وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال لا إله إلا الله »[٥] .

(والأخبار في الشفاعة أكثر من أن يؤتى عليها ، وهي كلها متواترة متوافيه على خروج الموحّدين من النار بشفاعة الرسول ﷺ وإن اختلفت ألفاظها)[٦]

فهذه بعض أحاديث الرسول ﷺ في الشفاعة اكتفينا بها حتى لا يحصل تطويل أو تكرار ، وسيأتي إيراد أحاديث أخرى في مكانها عند التكلم على شروط الشفاعة وأسبابها ، وما تبقى من فصول ومباحث بإذن الله تبارك وتعالى .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١ / ١٧٠) ح١٨٣ ، وأحمد في مسنده (٣ / ٩٤) .

(٢) ضبائر : هم الجماعات في تَفْرِقة ، واحدتها ضبارة ، مثل عمارة وعمائر ، وكل مجتمع ضبارة . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣ / ٧١) .

(٣) حميل السيل: بمعنى المحمول ، وهو الغثاء الذي يحتمله السيل . حاشية صحيح مسلم.

(٤) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ١ / ١٧٢) ح١٨٥ ، والبخاري : كتاب الأذان ، باب فضل السجود (١ / ٢٠٤) ،ح٨٠٦ ، واللفظ لمسلم ، وأحمد في مسنده (٣ / ٥ ، ١١) .

(٥) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٩ / ١٨٠) ح / ٧٥١٠ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١ / ١٨٢ - ١٨٤) ح ١٩٣ / من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، واللفظ للبخاري .

(٦) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل / للباقلاني ـ تحقيق / عماد الدين حيدر (ص٤١٨) مؤسسة الكتب الثقافية - ط الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) .

المطلب الثالث

دليل الإجماع

لقد أجمع السلف الصالح من أهل السُّنَّة والجماعة على إثبات الشفاعة يوم القيامة على وفق ما ورد في النصوص الشرعية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

فقد أثبتها الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا أحاديث الشفاعة، ثم من بعدهم التابعون رحمهم الله، ثم أتباعهم إلى عصرنا الحاضر إلى ما شاء الله، ولم ينكر الشفاعة أو بعضُ أنواعها إلا المبتدعة.

وقد حكى الإجماع على إثبات الشفاعة جملة من الأئمة والمصنفين، فممَّن تكلم في هذا الشأن الآتية أقوالهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ: « وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع .. »[١]

ونقل الإمام النووي ـ رحمه الله ـ عن القاضي عياض[٢] ـ رحمه الله ـ:

أنه قال في الشفاعة: « وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السُّنَّة عليها[٣] ».

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٨).

(٢) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي المالكي، المولود في سبته عام٤٧٦هـ، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، تولى القضاء في سبتة ثم غرناطة، توفي عام ٥٤٤هـ بمراكش مسموماً، قيل سمه يهودي، له عدة مصنفات، منها: (الشفا بتعريف حقوق المصطفى، شرح صحيح مسلم في الحديث، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع في المصطلح) وغير ذلك. انظر: وفيات الاعيان / لابن خلكان، تحقيق: د/إحسان عباس (٣ / ٤٨٣) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢٠ / ٢١٢ وما بعدها)، الاعلام / للزركلي (٥ / ٩٩).

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (جـ٣ / ٣٥) المجلد الأول.

وقال أبو حاتم[١] وأبو زرعة[٢] رحمهما الله تعالى : « أدركنا العلماء في جميع الأمصار ـ حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً ـ فكان من مذهبهم ... الشفاعة حق »[٣] .

وذكر الإمام الأشعري[٤] ـ رحمه الله ـ من الأصول التي أجمع عليها السلف قوله : « أجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يُخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمماً ، ... »[٥] .

وقال رحمه الله : « وقد أجمع المسلمون أن لرسول الله ﷺ شفاعة »[٦] .

---

(١) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داوود بن مهران الحنظلي أبو حاتم . ولد في الري ، وإليها نسبته سنة ١٩٥هـ ، حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم ، تنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم ، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٧ هـ ، له مصنفات منها : (طبقات التابعين) وغيرها . انظر: سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٣ / ٢٤٧ وما بعدها) ، الأعلام / للزركلي ٦/٢٧) .

(٢) هو عبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء ، أبو زرعة الرازي ، من أهل الري ولد سنة ٢٠٠هـ ، من حفاظ الحديث ، زار بغداد وحدّث بها ، وجالس أحمد بن حنبل كان يحفظ مائة ألف حديث، ويقال : كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل. توفي بالريّ سنة ٢٦٤ هـ . له (مسند) . انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣ / ٦٥ وما بعدها) ، تقريب التهذيب / لابن حجر (١ / ٦٣٦) رقم / ٤٣٣٢ ، طبقات الحنابلة / للقاضي أبي يعلى ١/١٩٩) ، الأعلام / للزركلي (٤/١٤٩)) .

(٣) شرح اعتقاد أهل السُّنّة والجماعة للإمام اللالكائي ـ تحقيق / أحمد سعد حمدان (١/١٧٦-١٧٧)، دار طيبة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ السعودية ـ ط بدون .

(٤) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري ، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري ، ولد في البصرة عام ٢٦٠هـ ، كان إماماً متكلماً تبحر في كلام الإعتزال أول حياته ثم ذمه ورد عليه ، قضى فترة على مذهب الكلابية بعد رجوعه عن الاعتزال ، ثم ذمه ورجع إلى مذهب السلف ، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ . له عدة مصنفات منها : (اللمع في الردع على أهل الزيغ والبدع ، والإبانة عن أصول الديانة ، والرد على المجسمة ، ومقالات الإسلاميين) وغيرها . انظر: : سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٥ / ٨٥ وما بعدها) ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية / لمحي الدين أبي محمد عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي الحنبلي ، تحقيق / عبدالفتاح الحلو (٢/٥٤٤-٥٤٥) ـ مؤسسة الرسالة ـ مطبعة هجر ـ ط الثانية (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) ، الأعلام / للزركلي (٤/٢٦٣) .

(٥) رسالة إلى أهل الثغر (ص٢٨٨) ـ تحقيق / عبدالله شاكر محمد الجنيدي ـ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ، ومؤسسة علوم القرآن ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م) .

(٦) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ـ تحقيق / بشير محمد عيون (ص١٦٢) مكتبة دار البيان ـ دمشق ، وبيروت ، ط الرابعة (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م) .

وقال أبو المعالي[١] الجويني ـ رحمه الله ـ : « وأجمع المسلمون قبل ظهور البدع ، على الرغبة إلى الله تعالى ، في أن يرزقهم الشفاعة ، وذلك مجمع عليه في العصور الماضية لا ينكر على مبديه »[٢] .

وقال السفاريني – رحمه الله – عند كلامه عن الشفاعة : « وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة »[٣] .

(والحاصل أن الأمة قد أجمعت على جواز الشفاعة ووقوعها من الأنبياء ، والأولياء ، والصلحاء ، والملائكة ، وغيرهم يوم القيامة بعد الإذن من الله لمن يشاء الله العفو عن ذنوبه ، والمغفرة له ، لا لكل مذنب ولا من دون إذن)[٤] .

وقال ابن المرتضى[٥] اليماني (ابن الوزير) : « وأحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع، وهي قاطعة في ألفاظها »[٦].

---

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، أبو المعالي الجويني ، الملقب بإمام الحرمين ، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) سنة ٤١٩هـ ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، ومن أعظم أئمة الأشاعرة ، تتلمذ عليه الغزالي وأخذ عنه ، توفي سنة ٤٧٨هـ ، وله عدة مصنفات ، منها) : العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد) وغيرها . انظر: سير أعلام النبلاء / للذهبي(١٨ / ٤٦٨ وما بعدها)، طبقات الشافعية / للسبكي : (تحقيق: عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي) (٥ / ١٦٥) مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ مصر ـ ط الأولى (١٩٨٣م) ، تبين كذب المفتري / لابن عساكر (ص٢٧٨-٢٨٥) دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) ، الأعلام / للزركلي (٤ / ١٦٠) .

(٢) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ـ تحقيق / أسعد تميم (ص٣٣١) ـ مؤسسة الكتب الثقافية ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢٠٨) .

(٤) الدين الخالص / لمحمد صديق حسن خان ـ تحقيق / محمد زهري النجار (٢ / ٢٢) مكتبة دار التراث ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون .

(٥) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسيني القاسمي ، أبو عبد الله المشهور بابن الوزير ، ولد في هجرة الظهراوين (من شطب أحد جبال اليمن) تعلم بصنعاء وصعدة ومكة ، مات بصنعاء سنة ٨٤٠هـ ، له مصنفات عدة اشهرها : (إيثار الحق على الخلق ، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) وغير ذلك . انظر : البدر الطالع / للشوكاني (٢ / ٨١-٩٣) ، الضوء اللامع / للسخاوي (ج٦ / ٢٧٢) المجلد الثالث ، الأعلام / للزركلي (٥ / ٣٠) .

(٦) إيثار الحق على الخلق (ص٣٩٥) دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون .

ونجد أن أئمة أهل السُّنَّة وعلماءَهم قد نصوا على إثبات الشفاعة في مؤلفاتهم المختلفة وأنها تعتبر حقًا ، خلافاً لما جاء به أهل البدع والضلال ، وهذا يعتبر من الشواهد القوية على إجماع أهل السُّنَّة وعلمائهم على إثبات الشفاعة يوم القيامة للنبي ﷺ ولغيره كما ورد ذلك في السُّنَّة المطهرة .

المبحث الثاني

حكم الإيمان بثبوت الشفاعة

أما حكم الإيمان بثبوت الشفاعة فهو الواجب ، فيجب على الإنسان المؤمن طالب الحق أن يؤمن بثبوت الشفاعة يوم القيامة بأنواعها وشروطها ويؤمن بأسبابها وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة واعتقادهم فلا يجوز التكذيب أو التشكيك بذلك .

وقد ذكر أئمة أهل السُنّة في كتبهم ومؤلفاتهم ذلك فمنها :

قال ابو حنيفة [١] ـ رحمه الله ـ :« وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق، وشفاعة النبي ﷺ للمؤمنين المذنبين ثابتة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة،قال الله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة:٢٥٥]،وهو إثبات الشفاعة لمن أذن له بها »[٢].

وقال الإمام أحمد [٣] ـ رحمه الله ـ عند كلامه على الشفاعة : « والإيمان

---

(١) هو النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة يقال: إنه من أبناء الفرس . ولد في الكوفة سنة ٨٠هـ في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، من تلامذة عطاء بن أبي رباح، أبو حنيفة : إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة ، قال ابن معين: ((كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه)) ولا يحدث بما لا يحفظه ، وقال الإمام الشافعي : ((الناس عيال في الفقه : على أبي حنيفة)) ، توفي شهيداً سنة ١٥٠هـ ببغداد . انظر: : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٥ / ٤٠٥) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (٦ / ٣٩٠ وما بعدها) ، النجوم الزاهرة / للأتابكي (٢ / ١٢) ، الأعلام / للزركلي (٨ / ٣٦) .

(٢) شرح الفقه الأكبر لابي منصور السمرقندي(ص١٥٧– ١٥٨) منشورات المكتبة العصرية– بيروت– لبنان– ط بدون

(٣) هو أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذُّهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ ،أحد الأئمة الأعلام والإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً ،قال قتيبة ابن سعيد : (أحمد بن حنبل إمامنا ومن لم يرض به فهو مبتدع) . ثبت في وجه فتنة المعتزلة بالقول في خلق القرآن ثبوت الجبال الرواسي ، حفظ الله به السُّنَّة، توفي سنة ٢٤١هـ له مصنفات عدة، منها (المسند) ، (والرد على الزنادقة) وغيرها . انظر: سير أعلام النبلاء / للذهبي(١١ / ١٧٧ وما بعدها) طبقات الحنابلة / لأبي الحسن محمد بن أبي يعلى (١ / ٤) ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل / لابن الجوزي، دار الآفاق الحديثة – بيروت – لبنان – ط الأولى (١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م)،الأعلام/ للزركلي(١ / ٢٠٣).

بالشفاعة.. ، والشفاعة ثابتة بنص الكتاب والسُّنَّة » [١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ : « قد ثبت بالسُّنَّة المستفيضة ، بل المتواترة ، واتفاق الأمة أن نبينا ﷺ الشافع المشفع ، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستشفعون به يطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم وأنه يشفع لهم » [٢] .

وذكر الإمام أبوبكر الآجري [٣] في الشريعة : « وجوب الإيمان بالشفاعة » ، وقال رحمه الله تعالى بعد أن ذكر نصوصاً في إثبات الشفاعة : « إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأ فاحشاً خرج به عن الكتاب والسُّنَّة » ، وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب[٤] » [٥] .

وقال الإمام المقدسي [٦] ـ رحمه الله ـ : « ويعتقد أهل السُّنَّة ويؤمنون أن النبي

---

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام احمد في العقيدة ـ جمع وتحقيق / عبدالاله بن سلمان الاحمدي (٢ / ٢١١) ـ دار طيبة ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م) .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٨) .

(٣) هو محمد بن الحُسين بن عبدالله البغدادي ، أبو بكر الآجُري نسبة إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها ، وحدث ببغداد قبل سنة ٣٣٠هـ ثم انتقل إلى مكة ، كان صدوقاً ، خيراً ، عابداً ، صاحب سُنَّة واتباع ، مات بمكة سنة ٣٦٠هـ ، له عدة مصنفات منها :(كتاب الشريعة ، الرؤية ، الغرباء) وغيرها ، انظر : : سير أعلام النبلاء (١٦ / ١٣٣ـ١٣٥)، وفيات الاعيان / لابن خلكان (٤ / ٢٩٢ـ٢٩٣) الأعلام / للزركلي (٦ / ٩٧) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي ٣ / ٩٣٦) .

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٤٣٤) وقال : وأخرج سعيد بن منصور بسند صحيح عن أنس بن مالك ، وذكره الإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٦ / ١١١١).

(٥) الشريعة للآجري ـ تحقيق / محمد حامد الفقي (ص٢٩٦ـ ٢٩٨ ـ ٣٠٠ دار السلام ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الأولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) .

(٦) هو تقي الدين أبو محمد عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سُرور المقدسي الجمّاعيلي الدمشقي الحنبلي ، ولد في جماعيل (قرب نابلس) سنة ٥٤١هـ وانتقل صغيراً إلى دمشق ، ثم رحل إلى الاسكندرية ، واصبهان ، وامتحن مرات ، وتوفي بمصر سنة ٦٠٠هـ ، له عدة مصنفات ، منها : (المصباح في عيون الاحاديث الصحاح ، عمدة الاحكام من كلام خير الانام ، الاقتصاد في الاعتقاد) وغير ذلك ، انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي (٢١ / ٤٤٣ وما بعدها) ، شذرات الذهب / لابن العمار (ج٤ / ٣٤٥) المجلد الثاني ، الاعلام / للزركلي (٤ / ٣٤) .

ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم شفاعة عامة ، ويشفع في المذنبين من أمته فيخرجهم من النار بعدما احترقوا » (١) .

وقال إمام الحرمين الجويني ـ رحمه الله ـ : « فمذهب أهل الحق أن الشفاعة حق .. فإذا أثبت جواز التشفيع عقلاً ، فقد شهدت له سنن بلغت الاستفاضة فمن رامها ألقاها منقولة » (٢) .

وقال الإمام السفاريني ـ رحمه الله ـ :« والحاصل أن الإيمان بالشفاعة واجب »(٣) .

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : « وجاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترة دل عليها قوله تعالى : "عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " والجمهور على أن المراد به الشفاعة » (٤) .

وقال الإمام يحيى ابن حمزة (٥) ـ رحمه الله ـ : وهو يتكلم في إثبات الشفاعة : « لا خلاف بين الأمة في إثبات الشفاعة وإنما الخلاف في موضوعها » (٦) .

فقوله ـ رحمه الله ـ : « وإنما الخلاف في موضوعها » لأنه من أئمة الزيدية وهو يعتقد اعتقاد المعتزلة في عدم ثبوت بعض أنواع من الشفاعات ، كما سيأتي بيانها

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد / للمقدسي ـ تحقيق / أحمد بن عطيه الغامدي (ص١٦٤ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ ط الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) .

(٢) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد (ص٣٣٠) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١٨) .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ / ٤٣٤) .

(٥) يحيى ابن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس بن علي بن جعفر الحسيني العلوي الطالبي : من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن ، ولد بمدينة صنعاء سنة ٦٦٩هـ ، أظهر الدعوة بعد وفات المهدي محمد بن المطهر ، وتلقب بالمؤيد بالله (أو المؤيد برب العزة) توفي في حصن هران (قبلي ذمار) عام ٧٤٥هـ ، له عدة مصنفات ، منها : (نهاية الوصول إلى علم الأصول ، التمهيد لأدلة مسائل التوحيد ، الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ، المعالم الدينية في العقائد الإلهية) وغير ذلك . انظر: البدر الطالع / للشوكاني (٢ / ٣٣١ ، ٣٣٢) ، الأعلام / للزركلي (٨ / ١٤٣) ، معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة (٤ / ٩٣).

(٦) المعالم الدينية في العقائد الإلهية ـ تحقيق : سيد مختار محمد حشاد (ص١٢٤) دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) .

في مكانه[١] .

وقال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : « وثبت بالسُّنَّة المتواترة واتفاق جميع الأمة أن نبينا ﷺ هو الشافع المشفّع وأنه يشفع للخلائق يوم القيامة وأن الناس يتشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربه »[٢] .

وأخيراً فإن فيما سبق عرضه من أقوال بعض أئمة المسلمين وعلمائهم فيه توضيحٌ قوي في إثبات الشفاعة ووجوب الإيمان بها ، وكما سيأتي بيانه أيضاً في مباحث أخرى كشفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر خاصة ، وأقوال الفرق الإسلامية في ذلك مفصلاً إن شاء الله تبارك وتعالى .

(١) المبحث الرابع من الفصل الرابع في الباب الثالث .

(٢) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية ..) (ص٤) .

الفصل الثالث

أقسام الشفاعة وأحكامها

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أقسام الشفاعة باعتبار ذاتها ، فيه مطلبان :

- المطلب الأول : الشفاعة الحسنة .
- المطلب الثاني : الشفاعة السيئة .

المبحث الثاني: أقسام الشفاعة باعتبار قبولها عند الله ـ عزوجل ـ أوردها .

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : الشفاعة المنفية .
- المطلب الثاني : الشفاعة المثبتة .

المبحث الثالث: أركان الشفاعة وشروطها وأسبابها ، وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : أركان الشفاعة .
- المطلب الثاني : شروط الشفاعة .
- المطلب الثالث : أسباب الشفاعة .

المبحث الرابع : أحكام الشفاعة ، وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : حكم الاستشفاع بالله عز وجل .
- المطلب الثاني : حكم الاستشفاع بالرسول ﷺ .
- المطلب الثالث : حكم الاستشفاع بغير الرسول ﷺ .
- المطلب الرابع : الفرق بين الاستشفاع بفلان والإقسام بحق فلان .

المبحث الأول

أقسام الشفاعة باعتبار ذاتها

أما الشفاعة بإعتبار ذاتها وتعلقها بالمعاملات بين الناس ، وينال ثوابها أو عقابها في الآخرة ، فهي تنقسم إلى قسمين رئيسيين لجعلهما مطلبين هما :

المطلب الأول

الشفاعة الحسنة

وهي أن يشفع الشفيع لإزالة ضرر أو جر منفعة إلى مستحق ليس في جرها ضرر ولا ضرار ، كما سبق وان بينا ذلك في الشفاعة المباحة ، فهذه مرغوب فيها مأمور بها لقول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢] ، وللشفيع نصيب في اجرها وثوابها ، قال الله تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥] ، ويندرج تحت هذه الشفاعة الحسنة كثير من شفاعات الناس بينهم في حوائجهم .

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « فمن يشفع لينفع فله نصيب ، وقيل الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة ، ... فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر ، وقيل : يعنى بالشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين »[1] .

ومن ذلك قوله ﷺ : « **ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك بمثل** »[2] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٢٩٥) .

(٢) رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٤ / ٢٠٩٤) ح٢٧٣٢ ، وأحمد في مسنده (٥ / ١٩٥) ، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « فسرت الشفاعة الحسنة بإعانة المؤمنين على الجهاد ، وفسرت الشفاعة الحسنة بشفاعة الإنسان للإنسان ليجتلب له نفعاً ، أو يخلصه من بلاء ، فالشفاعة الحسنة إعانة على خير يحبه الله ورسوله من نفع من يستحق النفع ، ودفع الضر عمن يستحق دفع الضرر عنه ، وفسرت الشفاعة الحسنة بالدعاء للمؤمنين ، وفسرت بالإصلاح بين اثنين ، وكل هذا صحيح »[١] .

(١) الإيمان لابن تيمية ـ تحقيق الألباني (ص٦١-٦٢) بتصرف يسير ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ، بيروت ـ ط الرابعة (١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م) .

المطلب الثاني

الشفاعة السيئة

وهي أن يشفع الشفيع في إسقاط حد بعد بلوغه السلطان ، أو هضم حق ، أو إعطائه لغير مستحقه ، وهذا منهي عنه لأنه تعاون على الإثم والعدوان ، لقول الله تعالى :﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢] ، ولقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء: ٨٥] ، ويندرج تحت هذه الشفاعة السيئة كثير من شفاعات الناس في المعاصي والإضرار كما قال الإمام القرطبي رحمه الله: « فمن يشفع ليضر فله كفل ، ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم ، لأن ذلك شفاعة سيئة ، وقيل الشفاعة السيئة هي : الدعاء على المسلمين ، كما كانت اليهود تدعو على المسلمين »[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمة الله ـ : « والشفاعة السيئة بإعانة الكفار على قتال المؤمنين .... ، والشفاعة السيئة إعانته على ما يكرهه الله ورسوله ، كالشفاعة التي فيها ظلم الإنسان ، أو منع الإحسان الذي يستحقه .... ، وفسرت الشفاعة السيئة بالدعاء على المؤمنين ، وكل هذا صحيح ، فالشافع زَوْج المشفوع له، إذ المشفوع عنده من الخَلْق ؛ إما أن يعينه على بر وتقوى ، وإما أن يعينه على إثم وعدوان »[٢] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٢٩٥) .

(٢) كتاب الإيمان لابن تيمية (ص٦١-٦٢) بتصرف يسير .

المبحث الثاني

أقسام الشفاعة باعتبار قبولها عند الله - عز وجل - أوردها

أما الشفاعة بإعتبار قبولها أوردها من الله عز وجل ـ فهي على قسمين وكلاهما متعلق بالتوحيد نجعلهما مطلبين ، هما :

المطلب الأول

الشفاعة المنفية

(١) هي التي تُطلب من غير الله ـ عز وجل ـ كطلبها من الأصنام والأوثان والملائكة وغيرهم ، مما عُبد من دون الله ـ عز وجل ـ .

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : « وأما الشفاعة المنفية الباطلة فهي التي تطلب من غير الله ـ عز وجل ـ أو بغير إذنه أو لأهل الشرك ، قال تعالى : ﴿ **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾ [غافر:١٨]،وقال تعالى:﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾** ﴾ [المدثر :٤٨] » [١] .

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « والتي نفاها الله : هي الشفاعة الشركية ، التي في قلوب المشركين ، المتخذين من دون الله شفعاء ، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفعائهم ، ويفوز بها الموحدون » [٢] .

وقد ذكر الله ـ عز وجل ـ حال من عمل ذلك مبيناً بقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾** ﴾ .

[الأنعام: ٩٤] .

---

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة (٢ / ٢١٣) .

(٢) مدارج السالكين / لابن القيم ـ تحقيق / محمد حامد الفقي (١ / ٣٤٠) .

فالقول فيها : ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ﴾ ، أي الذين عبدتموهم وجعلتموهم شركاء ـ يريد الأصنام ـ أي شركائي ـ وكان المشركون يقولون : الأصنام شركاء لله وشفعاؤنا عنده » [١] .

[٢] ومن الشفاعة المنفية التي تطلب بغير إذن من الله ـ عز وجل ـ لأن الأصل في الشفاعة أنها لله وحده سبحانه وتعالى لا تكون لغيره إلا بعد إذنه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : ولاريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع ، والله قد أمر بذلك ، لكن الداعي الشافع : ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذن الله له في ذلك فلا يشفع شفاعة نهى عنها » [٢] .

[٣] ومن الشفاعة المنفية التي تُطلب لأهل الشرك ، فالشفاعة المأذون بها لا تنال المشركين والكافرين واليهود والنصارى والمنافقين وأمثالهم .

فهؤلاء لا شفاعة لهم أصلاً لأنهم ليسوا من أهل التوحيد والإخلاص ، فلا تنالهم الشفاعة ، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين .

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة :١١٣ـ ١١٤] .

وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [المنافقون : ٦] .

وقال تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠].

[٤] من الشفاعة المنفية أن ندعو النبي ﷺ من دون الله ـ عز وجل ـ أو نسأل الله عز وجل أن يؤتينا الوسيلة التي هي درجة خاصة برسول الله ﷺ ، (ونطلب منه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧ / ٤٣) .
(٢) مجموع الفتاوي (١ / ١٣٠) .

مقامه الخاص به ، فنسأله الوسيلة التي صرح بأنها) لا تنبغي إلا لعبد واحد ، وهي له ﷺ ، لقوله ﷺ : « **سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ...** »[١] .

فنجد مما تقدم أن الأمر الرئيسي في الشفاعة عند الله عز وجل يوم القيامة هو الإيمان ، فمن لا إيمان له لا شفاعة له .

فكانت هذه الشفاعة منفية لأنها تجعل لله شريكاً يُرغب إليه ويُحبَ كما يُحب الله تعالى أو أعظم ، أو تكون بغير إذنه لأنه ارتكاب لما لم يأذن الله به ، أو تكون لمن لا تنطبق عليه لخروجه عن خط المشفوع لهم ، أو تكون بأمر لم يحبه الله ولا رسوله ﷺ .

وهذه الشفاعة المنفية ينطبق عليها قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)** ﴾ [البقرة: ٢٥٤] .

فالقول فيها: ﴿ **لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ** ﴾ أي لا يباع أحد من نفسه، ولا يفادي بمال ولو بذل ، ولو جاء بملء الأرض ذهباً ، ولا تنفعه خلة أحد يعني صداقته ـ بل ولا نسابته ـ كما قال : ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ،ولا شفاعة، أي ولا تنفعهم شفاعة الشافعين)[٢] .

فالشفاعة المنفية تعتبر وسيلة باطلة لا تزيد صاحبها من الله إلا بعداً ، فلا تقبل شفاعة الشافع ولا تنفع المشفوع له شفاعة بها .

---

(١) سبق تخريجه ص ٤٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١ / ٣١٢) ـ دار المعرفة .

المطلب الثاني

الشفاعة المثبتة

وهي الشفاعة التي أثبتها الله تعالى لأهل الإسلام من أهل الإخلاص والتوحيد وبيّنها النبي ﷺ في سنته .

ولذا قال ﷺ عندما سئل : « مَن أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : **أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ، من قال لا إله إلا الله ، خالصاً من قلبه أو نفسه** »[١] .

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله : هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحَّده »[٢] .

فالأصل في وقوع الشفاعة هو تجريد التوحيد لله عز وجل ومخالفة ما كان عليه المشركون ، وهذه الشفاعة من أهم الأمور التي يتميز بها أهل التوحيد عن غيرهم .

---

(١) رواه البخاري : كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث(١ / ٣٦) ح / ٩٩ ،كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٨ / ١٤٦) ح / ٦٥٧٠، وأحمد في مسنده (٢ / ٣٧٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مدارج السالكين (١ / ٣٤٠) .

المبحث الثالث

أركان الشفاعة وشروطها وأسبابها

المطلب الأول

أركان الشفاعة

لابد لكل شيء من أصول وأركان يقوم عليها حتى تظهر حقيقته ، وهنا نجد أن الشفاعة لها أركان تقوم عليها حتى يتم تنفيذها ، أو تُظهر جوانب إكمالها سواءً كانت الشفاعة في أمور الدنيا ، أو الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة فأركانها هي :

[١] الشافع : وهو من يقوم بالشفاعة إلى غيره .

[٢] مشفوع له : وهو من يُطلب له جلب النفع أو دفع الضر .

[٣] مشفوع فيه : وهو المنتفع به ولابد من خلوه من الموانع الشرعية التي تُرد بها الشفاعة ، حتى تقبل فيه وهذا إن كان في الدنيا فمثال : الشفاعة في الحدود قبل بلوغها السلطان ، وإن كان في الآخرة فمثال : الشفاعة في الذنوب والمعاصي مع خلو صاحبها عن الشرك الأكبر المحبط للأعمال .

[٤] مشفوع إليه : وهو من يقوم بقبول الشفاعة أو استقبالها سواءَ قَبِلَ تنفيذها أم لم يقبل ، فهو من يُطلب منه تحقيق المنفعة للمشفوع له .

[٥] الشفاعة : وهي عبارة عن فعل الشفيع إلى المشفوع إليه .

المطلب الثاني
شـــروط الشفاعـــة

للشفاعة المثبتة شروط لابد من توفرها حتى تقبل عند الله ـ عز وجل ـ وهي :

الأول : إذن الله سبحانه وتعالى للشافع أن يشفع :

فهو من الشروط الرئيسية في قبول الشفاعة فلا بد من إذن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة لمن يشفع من الشفعاء ـ لقول لله تعالى : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسيره : « من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم ، إلا أن يُخليه ويأذن له بالشفاعة لهم ، ... ولا يشفع عندي أحد "-أي عند الله عز وجل "إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له ؛ من رُسُلي وأوليائي وأهل طاعتي » (١) .

وقال الإمام القرطبي في تفسيره : « وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة » (٢) .

فالأصل في ذلك الإذن التام من الله ـ عز وجل ـ وهو يعتبر قيد من قيود إثباتها .

(وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه ـ عزوجل ـ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة) (٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ : « فأما إذا أذن له في أن يشفع فشفع، لم يكن مستقلاً بالشفاعة ، بل يكون مطيعاً له أي تابعاً له في الشفاعة ، وتكون

---

(١) جامع البيان في تاويل القرآن (٣ / ١٠).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣ / ٢٧٣) .
(٣) تفسير القرآن العظيم (١ / ٣١٦).

شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للآمر المسئول ، وقد ثبت بنص القرآن في غير آية : أن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه » [١] .

وقيل في الآية : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ في هذا الاستفهام من الإنكار على من يزعم أن أحداً من عباده يقدر على أن ينفع أحداً منهم بشفاعة أو غيرها ، والتقريع والتوبيخ له مالا مزيد عليه ، وفيه من الدفع في صدور عُبّاد القبور والصك في وجوههم والفتّ في أعضادهم مالا يقادر قدره ولا يبلغ مداه) [٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [يونس: ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبا : ٢٣] .

(أي لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة) [٣] .

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « أي إن الشفاعة لا تكون من أحد هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام ، إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله » [٤] .

وقال ابن تيمية - رحمه الله - في تفسيره : « فغير الله لا مالك لشيء ، ولاشريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء ، بل قد يكون له شفاعة إن كان من الملائكة والأنبياء والصالحين ، ولكن لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع ، وأن يأذن للمشفوع له أن يشفع له ، ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة » [٥] .

---

(١) مجموع الفتاوي (١ / ١١٨) .
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ، لصديق حسن خان (١ / ٤٢٢) ، مطبعة العاصمة ـ القاهرة ـ مصر ـ ط بدون (١٩٦٥م) .
(٣) تفسير القرآن العظيم (٣ / ٥٤٤) .
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٤ / ٢٩٥) .
(٥) التفسير الكبير لابن تيمية ـ تحقيق / عبدالرحمن عميره (١ / ٣١٤) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

وقال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : « وكذلك شفاعة من يشفع لا تكون إلا بإذن الله كما ورد بذلك القرآن العظيم ، فهذا تقييد للمطلق لا ينبغي العدول عنه بحال » (١) .

فالله تبارك وتعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وهو وحده سبحانه الذي يملك الشفاعة يوم القيامة ، كما قال الله تعالى : ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾** ﴾ [الزمر : ٤٣-٤٤] .

فالشفاعة التامة هي التي لا تكون إلا بإذنه .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه » (٢) .

فالأصل في ذلك الإذن من الله ـ عز وجل ـ سواءً كانت شفاعة نبي أو غيره ، « وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه ، وبوقت الشفاعة ، فليس يشفع إلا مَنْ أذن الله له في الشفاعة ، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له ، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه » (٣) .

الثاني : رضاه عن المشفوع له :

كما تقدم أنه لابد من إذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الشفاعة لابد أيضاً من رضاه سبحانه عن المشفوع له ، فليس الإذن في الشفاعة للشفعاء مطلقاً .

ولذا يقول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ **وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية : « الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله » (٤) .

---

(١) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية ..) ، ص٢٥ .

(٢) مدارج السالكين (١ / ٣٤٣) .

(٣) معارج القبول في شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ حكمي (٢ / ٨٨٨) .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن / لابن جرير (٩ / ١٨) .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾ [النجم : ٢٦] .

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ : « هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام وزعم أن ذلك يقرّبه إلى الله تعالى ، فأعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتهم وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له »[١] .

فالآية تنفي الشفاعة عن الملائكة إلا بشرطين هما : إذن الله ورضاه ، والرضى من الله ـ عز وجل ـ للعبد يكون بسبب القول والعمل الذي ينتج من العبد .

يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً (١٠٩) ﴾ [طه : ١٠٩] .

وهذه الآية أيضاً تنفي الشفاعة لكنها تستثني إذن الرحمن للشافع في أن يشفع، وأن يرضى الرحمن قوله ، والمراد بالقول المرضي هو شهادة أن لا إله إلا الله ، أي الإخلاص في كلمة التوحيد ، وكما قال الله تعالى : ﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧) ﴾ [مريم : ٨٧] .

وقال صاحب الرسالة الوافية ، في قول الله تعالى : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، (والعصاة لتمسكهم بالتوحيد والإقرار ، والتصديق مرتضون ، بدليل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ ثم قال: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [فاطر :٣٢-٣٣] ومرتضى ومصطفى واحد ، .. فقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ قال : الذي ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله) .

وقال أصحابنا معناه: إلا لمن ارتضى أن يُشفع فيه وليس معناه إلا لمن رضي عمله، لأن من رضي له جميع عمله لا يحتاج إلى شفاعة)[٢] . ورغم هذا القول إلاّ أنه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١٠٤) .

(٢) الرسالة الوافية لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ـ تحقيق / محمد بن سعيد القحطاني (ص١١٣) ، دار بن الجوزي ـ ط الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ، وانظر: كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني (ص٤٢٣) . بزيادة يسيرة .

لابد أن نقول أنّه لا يجوز الاتكال على نيل الشفاعة من قريب أو بعيد من الشفعاء ، فمن أراد الشفاعة فعليه التأهيل لها بالأعمال الصالحة التي ترضي الله سبحانه وتعالى حتى يتم رضى الله تعالى عنه ، وقد ذكر ذلك النبي ﷺ كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] ، قال: «**يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أُغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا صفيةُ عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ماشئت من مالي لا أُغني عنك من الله شيئاً**» (١) .

فهذا دليل على أن العمل الصالح سبب لرضى الله ـ عز وجل ـ عن العبد ، فإذا تم الرضى كانت الشفاعة ، فالرسول ﷺ يحث أقاربه على العمل حتى يتم الرضى من الله ـ عز وجل ـ فلا بد أن نتأهل لذلك ، ونجيء بأعمال صالحات وكلمة التوحيد الخالصة من شوائب الشرك حتى يرضاه الله ـ عز وجل ـ مع الخوف والهيبة ، وأمل العفو والرجاء من الله وحده سبحانه .

الثالث : قدرة الشافع على الشفاعة :

فمعلوم أن طلبها من الأموات طلب ممن لا يملكها أو ممن ليس أهلاً لها، فقد قال الله تعالى في حق الذي يُطلب منه الشفاعة وهو غير قادر عليها : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾** ﴾ [يونس : ١٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾** ﴾ [الزخرف: ٨٦] .

قال الإمام ابن جرير ـ رحمه الله ـ : « قوله : ﴿ **إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ** ﴾ قال :

---

(١) رواه البخاري : كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الاقارب (٤ / ٨) ح٢٧٥٣ / ومسلم : كتاب الإيمان ، باب قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (١ / ١٩٢) ح ٢٠٦ .

كلمة الإخلاص » [١] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ﴾ أي من الأصنام والأوثان (الشفاعة) أي لا يقدرون على الشفاعة لهم ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) ﴾ هذا استثناء منقطع أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له » [٢] .

الرابع : إسلام المشفوع لـــه :

وذلك لورود الأدلة الصريحة في ذلك بأن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد ، فليست يوم القيامة عامة لكل أحد مؤمناً كان أو كافرًا ، وإنما هي على اختلاف أنواعها ـ خاصة بالمؤمنين الذين ماتوا على التوحيد ، فالله ـ عز وجل ـ لا يرضى لعباده الكفر ، وقد توعد الكفار بالخلود في النار يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) ﴾ [المدثر : ٤٨] .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين ، وذلك أن قوماً من أهل التوحيد عُذبوا بذنوبهم ، ثم شُفِعَ فيهم ، فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة ، فأخرجوا من النار ، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم » [٣] .

وقال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ : « .. فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلاً فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإن له النار لا محالة خالداً فيها » [٤] .

فالآية تنفي الشفاعة عن الكافرين الذين لم يكونوا من أهل التوحيد والأعمال الصالحة. ولذا وردت الآية بعد قول المولى عز وجل مخاطباً أهل الكفر : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن : (١١ / ٢١٨) .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (٤ / ١٤٧) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٨٨) .
(٤) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٤٧٦) .

الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٧] .

وقال تعالى على لسان المشركين: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١] ، فلا تنفعهم قرابة ولا صداقة إذا كانت وفاتهم على الكفر والشرك بالله عز وجل بخلاف أهل المعاصي من أهل التوحيد فإنه مرجو لهم الشفاعة خلافاً لغير الموحدين .

لقوله ﷺ : « إن الرجل ليقول في الجنة ما فعل فلان وصديقه في الجحيم ، فلا يزال يشفع له حتى يشفعه الله فيه فإذا نجا قال المشركون : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ »[١] .

وقال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨] . فالظلم يقصد به الشرك بالله - عز وجل - ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] .

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله -: « أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ، ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير »[٢] .

وقيل:معنى ذلك أنه لا شفاعة للظالمين بالكفر والشرك الذين لا طاعة معهم)[٣] .

ومن الأدلة الواردة في السُّنَّة النبوية على أن الشفاعة خاصة بأهل التوحيد الذين سلموا من الشرك ومما يناقض الإسلام ، وأنه ليس للكفار والمشركين فيها نصيب ما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟،فقال رسول الله ﷺ :**«لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوّل منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (١٣ / ١١٨) ، البغوي في تفسيره (٦ / ١٢٠) .
(٢) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٨٢) .
(٣) كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني (ص٤٢٤) .

الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال :لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه » (١) .

وعنه رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجّل كل نبي دعوته ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلةٌ ، إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا** » (٢) ، فالدليل واضح أن الشفاعة نائلة أهل التوحيد ولم تكن لمن مات مشركاً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فالذي تنال به الشفاعة هي الشهادة بالحق ، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، لا تنال من تولى غير الله ، لا الملائكة، ولا الأنبياء ولا الصالحين » (٣) .

فبيّن اقتصار الشفاعة على أهل التوحيد ، بخلاف من أشرك بالله تعالى بأي وجه كان .

« وأما الشفاعة والدعاء فانتفاع العباد به موقوف على شروط وله موانع ، فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم » (٤) .

لقوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)** ﴾ [التوبة: ١١٣] ، وكذلك لقوله ﷺ : « **استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزور القبور فإنها تذكر الموت** » (٥) .

فعدم انتفاع الكافر بالشفاعة من الأدلة على خطورة الكفر والشرك بالله ـ عز وجل ـ وأفضلية التوحيد ونبذ كل شيء فيه تعلق بغير الله تعالى .

---

(١) سبق تخريجه الحديث ص ١٠٥ .
(٢) سبق تخريج الحديث ص ٨٦ .
(٣) مجموع الفتاوى (١٤ / ٤١٢) .
(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٤٥) .
(٥) صحيح مسلم : كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه ـ عز وجل ـ في زيارة قبر أمه (٢ / ٦٧١) ح ٩٧٦ ، وأحمد في مسنده (٢ / ٤٤١) ، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

فتحقق شروط الشفاعة سبب من أسباب قبولها عند الله ـ عز وجل ـ ، ولذا ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذه الشروط وسماها أصولاً بقوله : « فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها : لا شفاعة إلا بإذنه ، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده ، واتباع رسوله ﷺ »[١] .

الخامس : عدم تجاوز الشافع للحدّ فيمن يشفع فيهم :

وهذا الشرط مأخوذ من كلام سيد الشفعاء نبينا محمد ﷺ ، عندما يأتيه الناس يوم القيامة طالبين الشفاعة .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يَجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يُريحنا من مكاننا فيأتون آدم ... ، إلى قوله : فيأتوني فأستاذن على ربي فإذا رأيتُهُ وقعت ساجداً فَيَدَعُني ما شاء الله ثم يقال ارفع رأسك سل تُعْطَهْ ، وقُل يُسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمدُ ربّي بتحميدٍ يُعلّمني ، ثُمَّ أشفع فيحُدُّ لي حداً ثُمَّ أخرجهم من النار ، وأُدخلهم الجنة ، ثم أعود فاقع ساجداً مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما يقى في النار إلا من حبسه القرآن** »[٢] .

فالحديث يبين أن من شروط قبول الشفاعة عدم تجاوز الحد الذي يُحده الله سبحانه للشافع .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ قوله : « "فيُحدُّ لي حداً" يبين في كل طور من أطوار الشفاعة حداً أقف عنده فلا أتعداه ، مثل أن يقول شفعتك فيمن أخلّ بالجماعة ثم فيمن أخل بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثمّ فيمن زنى وعلى هذا الأسلوب »[٣] .

وحقيقة شروط الشفاعة أن الله ـ عز وجل ـ إذا أراد رحمة عبده ونجاته من النار

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٤١) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (٨ / ١٤٥) ح ٦٥٦٥ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٨٠) ح ١٩٣ ، واللفظ للبخاري .

(٣) انظر : فتح الباري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار (١١ / ٤٤٦) .

أذنَ لمن شاء في الشفاعة رحمة للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع .

وكذلك الرضى منه ـ عز وجل ـ في القول والعمل والتوفيق للمتمسك بالتوحيد وكلمة الإخلاص قولاً وعملاً ، وإن لم يكن ذلك ولم يأذن الله له لم تنفعه كما في شفاعة نوح لابنه ، وإبراهيم لأبيه ، ونبينا محمد ﷺ لعمه في استغفاره ، فردتْ شفاعاتهم لأن الله ـ عز وجل ـ لم يأذن لهم بذلك الإذن الشرعي في أن يشفعوا .

فالشفاعة أذن تدلُ على منزلة الشفيع العالية ، ومكانته الرفيعة في الآخرة ، أمام الخلائق جميعاً ، بالرغم من أنه لا يملك من أمر الشفاعة شيئاً إلا أن يأذن الله ـ عز وجل ـ لمن يشاء ويرضى .

المطلب الثالث
أسبـــاب الشفاعـــة

تقدم لنا فيما سبق بيان شروط الشفاعة وأنها من الأمور التي لا بد منها حتى تتحقق الشفاعة كاملة وتقع يوم القيامة ، وقد ورد ذلك مبيَّنًا في أحاديث النبي ﷺ في أن الشفاعة بعد تحقق شروطها لابد أن يكون عند العبد أعمال صالحة تقربه من الدخول في ضمن المشفوع لهم عند الله ـ عز وجل ـ فالشفاعة يوم القيامة : ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾** ﴾ [الشعراء : ٨٨ – ٨٩] ، لا تفضيل فيها بين الناس إلا بالإيمان ، والأعمال الصالحة ،وهذه الأعمال هي تعتبر أسباباً لوقوع الشفاعة للعبد المسلم يوم القيامة ،فقد رغّب فيها ربنا سبحانه وتعالى ، وكذلك نبيه الكريم ـ محمد ﷺ ، لأنها توصل صاحبها إلى نيل الشفاعة يوم القيامة .

وهذه الأسباب منها ما يكون سببًا عامًا لا تتحقق إلا به ، ومنها ما يكون مختصًا بعمل معين ورد ذكره في حديث من أحاديث النبي ﷺ وحث عليه وبينه أنه سبب موصل للشفاعة .

الأول : السبب العام : تحقق شروط الشفاعة :

وذلك لأن مجرد القيام بالأسباب مع عدم تحقق شروط الشفاعة فإنها لا تؤدي بذاتها إلى الشفاعة لأن تحقق شروط الشفاعة سبب من أسباب قبولها عند الله ـ عز وجل ـ فلا يتعلق بذات السبب فقط ، فلا بد من تحقق الشروط ثم القيام بالأسباب الصالحة ، الفاتحة لأبواب الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ .

وقد ذكر الإمام ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسير قول الله تعالى : ﴿ **لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾** ﴾ [مريم :٨٧] أي عملاً صالحاً [١] » .

ولا شك أن من أهم الأعمال الصالحة إخلاص العبادة لله تعالى بكلمة التوحيد

---

(١) جامع البيان في تاويل القرآن (١٦ / ٣٨٢) .

قولاً وعملاً والقيام بشروطها،فالتوحيد يعتبر شرطًا من شروط الشفاعة كما تقدم ذلك.

فلذا كان التوحيد المتضمن إخلاص العبادة لله تعالى أعظم سبباً تُنال به الشفاعة يوم القيامة .

وقد جاء في ذلك عن النبي ﷺ قوله لما سئل : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ... **أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه** » (١) .

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : « والله لم يجعل استعانته وسؤاله سبباً لإذنه وإنما السبب لأذنه كمال التوحيد .. » (٢) .

فتحقيق التوحيد أهم أسباب الشفاعة ، فلا نصيب في الشفاعة لمن أشرك مع الله غيره سواء كان ذلك في الدعاء أو في غيره ، فشفاعة النبي ﷺ لا نصيب فيها لمشرك ، إنما هي للموحدين من أمته وإنْ كانوا من أهل الكبائر لا لأهل الشرك ، كما قال ﷺ : « .. **فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً** » (٣) .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « وتأمل قول النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه وقد سأله :« من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ ، قال ﷺ : « أسعد الناس.... »، كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد (٤) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : « بل الشفاعة : سببها توحيد الله ، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة ، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة فإن الشفاعة : من الله مبدؤها ، وعلى الله تمامها فلا يشفع أحد إلا بإذنه ،وهو الذي يأذن للشافع ، وهو الذي يقبل شفاعته

---

(١) سبق تخريجه ١٠٥ .

(٢) كتاب الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ضمن الرسائل السلفية ..) (ص٣٩) .

(٣) سبق تخريجه ص ٨٦ .

(٤) مدارج السالكين (١ / ٣٤١) .

في المشفوع له، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله من يرحم من عباده ، وأحق الناس برحمته : هم أهل التوحيد والإخلاص له ، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص " لا إله إلا الله " علماً وعقيدة ، وعملاً وبراءةً ، وموالاة ومعاداة : كان أحق بالرحمة » [١] .

الثاني : الأسباب المختصة بالشفاعة من الأعمال الصالحة هي :

[١] قراءة القرآن :

فقراءته من الأسباب الموصلة لشفاعة الله ـ عز وجل ـ ورضوانه على العبد يوم القيامة ، وقد ورد في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ : منها :

قوله ﷺ : « **إقرؤا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، إقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان** [٢]**، أو كأنهما فرقان من طيرٍ صوافّ ، تحاجّان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركةٌ ، وتركها حسرةٌ ، ولا يستطيعها البطلةُ** » [٣] . أي السحرة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾** » [٤] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **القرآن شافعٍ مشفَّع ، وما**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤ / ٤١٤) .

(٢) الغمامة والغياية : كل شئ أظلك فوق رأسك .

(٣) رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها،باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (١ / ٥٥٣) ح٨٠٤ ، وأحمد في مسنده (٥ / ٢٥٥) ، من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

(٤) رواه أبو داود في سننه : كتاب الصلاة ، باب في عدد الآي (٢ / ١١٩) ح ١٤٠٠ ، والترمذي في سننه : كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك ، تحقيق / احمد شاكر (٥ / ١٥١) ح ٢٨٩١ . وقال الترمذي : حديث حسن ، وابن ماجه في سننه : كتاب الأدب، باب ثواب القرآن (٢ / ١٢٤٤)ح٣٧٨٦ والحديث حسن: انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم٣٦٤٤ ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي ، انظر: كتاب الشفاعة (ص٢٠٩) .

حلٌ[١] مصدَّقٌ ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار »[٢] .

وقال ﷺ : « اعملوا بالقرآن .. فإنه شافع مشفَّع وما حل مصدق ... »[٣] .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : « يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون له قائداً إلى الجنة ، ويشهد عليه ويكون سائقاً به إلى النار »[٤] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « يجيء القرآن "أي يوم القيامة" يشفع لصاحبه .. »[٥]

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « اقرؤا القرآن فإنه نعم الشفيع يوم القيامة .. »[٦] .

[٢] الصيـــــام :

الصيام من الأعمال الصالحة التي تكون سبباً من أسباب شفاعة المولى ـ عز وجل ـ للعبد يوم القيامة ، وذلك لفضله ولابد أن يكون العمل به إيماناً واحتساباً .

ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني

---

(١) ما حل : أي خصمٌ مجادل مصدَّق . النهاية في غريب الحديث والأثر / لابن الأثير (٤ / ٣٠٣) .

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفة ، باب تعليم القرآن وفضله ، تحقيق / مجيب الرحمن الأعظمي (٣ / ٣٧٣) ح ٦٠١٠ ، وقال الألباني : إسناده جيد ورجاله ثقات ، انظر : السلسلة الصحيحة (٥ / ٣١) برقم / ٢٠١٩ ، انظر: صحيح الجامع / للألباني برقم٤٤٤٣) وحسنه الشيخ مقبل الوادعي ، انظر: كتاب الشفاعة ص٢١٣ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب : فضائل القرآن ، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه (١ / ٧٥٧) ح٢٠٨٧ ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٤) رواه الدارمي في سننه : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن (٢ / ٣١١) ح ٣٣٢٨ ، ورواه عبد الرزاق (٣ / ٣٧٣) ح٦٠١٠ / ، وقال الشيخ مقبل : رواه عبدالرزاق والطبراني بسند صحيح موقوفاً على ابن مسعود . انظر: : الشفاعة (ص٢١١) .

(٥) رواه الدارمي في سننه (٢ / ٣٠٩) ح ٣٣١٥ ، وذكر الألباني في صحيح الجامع بنحوه وحسنه برقم (٨٠٣٠) .

(٦) رواه الدارمي في سننه (٢ / ٣٠٩) ح ٣٣١٤ واللفظ له ، وأحمد في مسنده (٥ / ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧) ، وصححه الشيخ مقبل سواء الأثر الموقوف أو المرفوع . انظر: الشفاعة (ص٢١٨) .

فيه ، فيشفعان »[١] .

[٣] الصلاة على النبي محمد ﷺ :

قال رسول الله ﷺ : « **من صلى على محمد وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي** »[٢] .

فنجد في هذا الحديث شرطًا جزائيًا وهو الصلاة على محمد ﷺ وأن القائل بهذا يستحق الشفاعة عند الله يوم القيامة .

وقال ﷺ : « **من صلى عليّ حين يصبح عشراً ،وحين يمسي عشراً ، أدركته شفاعتي** »[٣] .

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة** »[٤] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ١٧٤) ،وقال الهيثمي : رواه أحمد وإسناده حسن على ضعف في ابن الهيعة وقد وثق . مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٧٤٠) وقال حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي ، وقال المنذري : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله محتج بهم في الصحيح : انظر: الترغيب والترهيب : كتاب الصوم (٢ / ٨٤) ح ١٥ . والحديث صحيح : انظر: صحيح الترغيب والترهيب للألباني رحمه الله (١ / ٤٨٣) برقم ٩٦٩ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ السعودية ـ ط الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م) .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة / تحقيق الألباني(٢ / ٣٩٥) المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الأولى (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، والطبراني في الكبير(٥ / ٢٦) ،ح٤٤٨٠ دار إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف العراقية ـ ط الثانية (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) ، وأحمد في مسنده (٤ / ١٠٨) ، وقال الهيثمي : رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وأسانيده حسنة (انظر: مجمع الزوائد (١٠ / ١٦٣) ، وقال الألباني : إسناده ضعيف ، ورجاله ثقات غير وفاء بن شريح الحضرمي فهو مجهول الحال ، وابن لهيعه سيء الحفظ (انظر: تخريج كتاب السُّنَّة لابن أبي عاصم) (٢ / ٣٩٥) ح٨٢٧ ، وكذلك تخريج أحاديث المشكاة (١ / ٢٩٥) برقم ٩٣٦ من حديث رويفع بن ثابت رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(١٠ / ١٢٠)رواه الطبراني بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا،وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (ص٢٧٣) برقم ٦٥٩ .وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٦٣٥٧، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي في سننه : كتاب الصلاة ، باب ماجاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٢ / ٣٥٤) ح٤٨٤ ، وقال حديث حسن غريب ، وانظر: المشكاة بتخريج الألباني (١ / ٢٩١) برقم ٩٢٣ .

[٤] الدعاء عند الأذان (طلب الوسيلة للنبي ﷺ عند الأذان) :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **من قال حين يسمع**[١] **النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلّت له شفاعتي يوم القيامة** »[٢] .

فمن التزم بهذا كان ـ إن شاء الله ـ من الفائزين بشفاعة سيد الخلق محمد ﷺ .

وعن عبد الله بن عمرو[٣] بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : « **إذا سمعتم المؤذن فقولا مثل ما يقول ثم صلّوا عليّ ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة** »[٤] .

[٥] الصلاة على الجنازة المسلمة الموحدة لله :

فمن أسباب الشفاعة للعبد المسلم ، صلاة الموحدين عليه عند موته والدعاء له ، لما ورد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « **مامن ميت يُصلّي عليه أمّة من المسلمين يبلغون مائة ، كلهم يشفعون له ، إلا شُفعّوا فيه** »[٥] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مامن رجُلٍ مسلم يموتُ**

---

(١) أي عند تمام النداء ، لأن المطلق يحمل على الكمال وهو مقيد بالحديث الذي بعده ، انظر : فتح الباري لابن حجر (٢ / ٩٤) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء (١ / ١٥٩) ح / ٦١٤ ، كتاب التفسير ، باب ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، (٦ / ١٠٨) ح / ٤٧١٩ ، وأحمد في مسنده (٣ / ٣٥٤) .

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص ، أبو محمد أو أبو عبد الرحمن القرشي السهمي ، هاجر هو وأبوه قبل الفتح ، بينه وبين أبيه إحدى عشرة سنة فقط ، من المفضلين عند رسول الله ﷺ ، كتب عن النبي ﷺ علماً كثيراً ، واعتزل الفتنة ، وتوفي بمصر سنة ٦٥هـ ، وقيل بالطائف على الراجح ، ودفن بداره رضي الله عنه وكان عمره ٧٢ سنة وقيل ٩٢ سنة ، انظر : تذكر الحفاظ (١ / ٤١-٤٢) ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٨٠ وما بعدها) ، أُسد الغابة (٣ / ٣٥٦ - ٣٥٨) ، ترجمة رقم ٣٠٩٠ ، تقريب التهذيب (١ / ٥١٧) ، رقم / ٣٥١٠ ، الأعلام للزركلي (٤ / ١١١) .

(٤) سبق تخريجه ص ٤٠ .

(٥) رواه مسلم : كتاب الجنائز ، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه (٢ / ٦٥٤) ح ٩٤٧ ، وأحمد في مسنده (٣ / ٢٦٦ ، ٦ / ٣٢ ، ٤٠ ، ٩٧ ، ٢٣١) واللفظ لمسلم .

فيقوم على جنازته أربعون رجُلاً، لا يشركون بالله شيئاً إلا شفَّعهم الله فيه» [١]

وقال رسول الله ﷺ : « من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب » [٢]

[٦] كثرة السجود لله تعالى :

فالسجود في الصلاة سبب من أسباب الشفاعة للعبد المسلم لأن فيه إظهار التواضع والخضوع والعبودية لله سبحانه وتعالى . وقد جاء عن ربيعة [٣] بن كعب الأسلمي أنه قال : « كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فاتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي " سل " فقلت : أسالك مرافقتك في الجنة ، قال : (أو غير ذلك ؟) قُلتُ : هو ذاك ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السُجُود» [٤] .

وكان للسجود هذا الفضل العظيم أن يكون سبباً من أسباب الشفاعة للعبد المسلم، (.. لأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاه وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن والله أعلم) [٥] .

وكان النبي ﷺ مما يقول للخادم : « ألك حاجة ؟ قال : حتى كان ذات يوم فقال : يا رسول الله حاجتي، قال: " وماحاجتك ؟ " قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة . قال: " ومن دلك على هذا ؟ ، قال : ربي، قال: " فأعني بكثرة السجود " » [٦] .

---

(١) رواه مسلم : كتاب الجنائز ، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه (٢ / ٦٥٥) ح ٩٤٨ ، وأحمد في مسنده (١ / ٢٧٧ / ٢٧٨) .

(٢) رواه أبو داود في سننه: كتاب الجنائز، باب في الصفوف على الجنائز (٣ / ٥١٥) ح ٣١٦٦ ، والترمذي في سننه : كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الصلاة على الجنازة والشفاعة للميت (٣ / ٣٤٧) ح١٠٢٨ ، وقال :حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في سننه : كتاب الجنائز ، باب ما جاء في من صلى عليه جماعة من المسلمين (١ / ٤٧٨) ح ١٤٩٠ ، والإمام أحمد في مسنده (٤ / ٧٩) ، وانظر المشكاة بتخريج الالباني (١ / ٥٣٠) برقم ١٦٨٧ ، من حديث مالك بن هبيرة رضي الله عنه .

(٣) ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي أبو فراس المدني ، كان من أهل الصفة ، خدم النبي ﷺ وروى عنه مات سنة ٦٣هـ ، انظر: : تهذيب التهذيب / لابن حجر (٣ / ٢٦٢) برقم / ٤٩٦ .

(٤) رواه مسلم : كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه (١ / ٣٥٣) ح ٤٨٩ .

(٥) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (٤ / ٢٠٦) .

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣ / ٥٠٠) وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح " انظر: مجمع الزوائد (٢ / ٢٤٩) .

وعن مصعب الأسلمي قال: «انطلق غلام منّا حتى أتى النبي ﷺ فقال: أسألك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة، قال: "**من أمرك هذا أو من علمك هذا أو من دلك على هذا، قال ما أمرني به أحد إلا نفسي قال: فإنك ممن اشفع له يوم القيامة**»[١].

وفي رواية فقال: «**أعني بكثرة السجود**»[٢].

[٧] سكنى المدينة النبوية، والموت بها:

والمقصد من هذا السبب هو السكن في المدينة النبوية الذي شرفها الله عز وجل ـ بالنبي ﷺ، وذلك مع الصبر عند الفتن والمصائب، وقد ورد في ذلك أحاديث منها:

عن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة[٣] فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها، وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جَهْد المدينة ولأوائها، فقال له، ويحك لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يصبرُ أحدٌ على لأوائها فيموت، إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لايصبر على لأواء المدينة وشدّتها أحدٌ من أمتي، إلا كُنتُ له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً**»[٥].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمُت بها، فإني أشفع لمن يموتُ بها**»[٦].

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٦٩)، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) ذكره الحافظ بن حجر من رواية البغوي والطبراني، انظر: الإصابة من تمييز الصحابة (٣ / ٤٢٢) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان / ط الأولى ـ (١٣٢٨هـ).

(٣) ليالي الحرة: وهي الفتنة المشهورة التي نهبت فيها المدينة سنة ثلاث وستين هجرية، انظر: شرح النووي لصحيح مسلم (ج٩ / ١٤٩) المجلد الثالث.

(٤) رواه مسلم: كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة، والصبر على لأوائها (٢ / ١٠٠٢) ح١٣٧٤، وأحمد في مسنده (١ / ١٨١)، واللفظ لمسلم.

(٥) رواه مسلم: كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة (٢ / ١٠٠٤) ح ١٣٧٨.

(٦) رواه الترمذي في سُننه: كتاب المناقب، باب فضل المدينة (٥ / ٦٧٦) ح ٣٩١٧، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في سُننه بلفظ (**فإني أشهد لمن مات بها**): كتاب المناسك، باب فضل المدينة =

فسكنى المدينة النبوية سبب من أسباب شفاعة الرسول ﷺ للعبد المسلم يوم القيامة ، قال الإمام النووي رحمه الله : « وفي هذه الأحاديث .. دلالات ظاهرة على فضل سكن المدينة والصبر على شدائدها وضيق العيش فيها ، وأن هذا الفضل باق مستمر إلى يوم القيامة »(١) .

[٨] قضاء حوائج المسلمين :

فمنفعة المسلم لأخيه المسلم وقضاء حاجته من أسباب الشفاعة عند الله عز وجل للعبد المسلم من الشفعاء في ذلك اليوم .

كما قال الرسول ﷺ : « **من قضى لأخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له** »(٢) .

[٩] الأخوة في الله :

فمن أسباب الشفاعة عند الله ـ عز وجل ـ الأخوة الإيمانية التي لا يشوبها مصلحة من المصالح الدنيوية ، لقوله ﷺ : « **أنا شفيع لكل رجلين اتّخيا في الله من مبعثي إلى يوم القيامة** »(٣) .

والحاصل مما تقدم أن من كان حريصاً على نيل شفاعة النبي ﷺ أو غيره يوم

= (٢/١٠٣٩) ح ٣١١٢ ، والإمام أحمد في مسنده (٢/١٠٤) ، والحديث صحيح : انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني – رحمه الله – برقم (٦٠١٥) ، وانظر مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني (٢/٨٣٩) برقم ٢٧٥٠ ، وقال الألباني : إسناده صحيح .

(١) انظر : شرح النووي لصحيح مسلم (٩/١٥١) المجلد الثالث .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٣٥٣) ، وقال : غريب من حديث مالك تفرد به الغفاري ، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط الأولى (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م) ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٧٥١) ، وقال الشيخ : مقبل : الحديث لا يثبت بهذا السند . انظر : الشفاعة (ص ٢٥٦ – ٢٥٧) .

(٣) أبو نعيم في الحلية (١/٣٦٨) ، من حديث سلمان ﷺ ، وكنز العمال (٩/٤) برقم (٢٤٦٤٤) ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم /١٧٢٣ ، وقال الشيخ مقبل : الحديث في سنده عمرو بن خالد الكوفي ، وهو أبو خالد الواسطي ... وهو كذاب عند المحدثين ، ... أما بقية السند فثقات إلا إسحاق الطائي الكوفي ، ... ، أخشى أن يكون إسحاق بن بشر الكاهلي الكوفي وهو كذاب . انظر : الشفاعة (ص ٢٥١) .

القيامة ، أنها لا تأتي إلا بسبب من العبد المسلم ، وهذه الأسباب جملتها أعمال صالحة ، « لأن الشفاعات متنوعة يوم القيامة ، فمنها للمذنبين الموحدين بإخراجهم من النار وإدخالهم الجنة ، ومنها شفاعات للصالحين برفع درجتهم في الجنة ، أو إدخالهم الجنة بلا حساب فيعطى كل أحد ما يناسبه »[١] .

فعلى المسلم أن يتحرى الأسباب المؤدية إلى حصول الشفاعة ، ويعمل بمقتضاها ، والله الموفق .

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٢ / ١١٤) بتصرف .

المبحث الرابع

أحكام الشفاعة

المطلب الأول

حكم الاستشفاع بالله عز وجل

الاستشفاع بالله ـ عز وجل ـ يعتبر من أوجب الواجبات على العبد المسلم إذا كان مراده النجاة والفرج من الكربات والشدائد، ويقصد بذلك الالتجاء إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والرجوع إليه دون سواه، وقد أمرنا بذلك في كتابه العزيز بقوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقد ذكر الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ : « في تفسير هذه الآية بعض أقوال المفسرين لمعناها : فقيل وحدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم ، وقيل المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضر » .

وقال ـ رحمه الله ـ : « بل الثاني أولى لأن معنى الدعاء حقيقة وشرعاً هو الطلب ، فإن استعمل في غير ذلك فهو مجاز ، على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة ، بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح : بقوله ﷺ : الدعاء هو العبادة ، قال ربكم ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] » .

فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ووعدهم بالإجابة ووعده الحق ، وما يبدل القول لديه ولا يخلف الميعاد .

---

(١) رواه أبو داود : كتاب الصلاة ، باب الدعاء (٢ / ١٦١) ، ح ١٤٧٩ (والترمذي في سننه : كتاب تفسير القرآن ، باب ومن البقرة ، ومن سورة المؤمن (٥ / ١٩٤ ، ٣٤٩) ح ٢٩٦٩ ، ٣٢٤٧ وابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء (٢/ ١٢٥٨) ،ح٣٨٢٧ . وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

ثم صرح سبحانه بأن هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقي وهو الطلب هو من عبادته فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] (١).

أقول: لا مانع من اشتمال الآية على المعنيين السابقين، ولا يعارض ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، لأن معناها وحدوني واعبدوني، واسألوا منافعكم ومغفرة ذنوبكم.

فهذا من لطفه ـ عز وجل ـ بعباده ونعمته العظيمة حيث دعاهم إلى ما فيه إصلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه دعاء العبادة ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر عنها فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾، أي ذليلين حقيرين يجتمع عليهم العذاب والإهانة جزاء على استكبارهم(٢).

(١) فتح القدير (٤ / ٦١٧) بتصرف ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط بدون (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن السعدي (ج٧ / ٧٩) المجلد الرابع - مع زيادة يسيرة.

المطلب الثاني

حكم الاستشفاع بالرسول ﷺ

وفي هذا الحكم لابد من البيان والإيضاح ومعرفة المسألة بالتفصيل .

أولاً: حكم الاستشفاع به ﷺ في الدنيا في حال حياته :

فهذا النوع من الاستشفاع جائز ، وقد سبق أن ذكرنا ذلك في الشفاعة في أمور الدنيا ، وفي تعريف التوسل ، وقد ثبت ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنهم كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو لهم، ويشفع لهم ، فكانوا يتوسلون بدعائه ﷺ في الاستسقاء وغيره ، وقد ثبت عن الصحابة أنهم طلبوا الشفاعة من الرسول ﷺ في حياته ، وذلك لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « سالت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال أنا فاعل، قال: قُلتُ يا رسول الله فاين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط ، قال : قلت فإن لم ألْقَكَ على الصراط؟ قال : فاطلبني عند الميزان ، قلت : فإن لم ألْقَكَ عند الميزان؟ ، قال : فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ[1] هذه الثلاث المواطن »[2] .

ولا بد من المعرفة هنا أنه لا يلزم تحقق الشفاعة لكل من طلبها من النبي ﷺ في حياته ، بل لابد من توفر شروط الشفاعة ليكون أهلاً لها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في حكم الاستشفاع بالنبي ﷺ في حياته :« كان أصحابه ﷺ يتوسلون إلى الله بدعائه وشفاعته »[3] .

---

(١) أي لا أتجاوز هذه البقاع ولا يفقدني أحد فيهن جميعهن .

(٢) رواه الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الصراط (٤/٥٣٧) ح٢٤٣٣ ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/١٧٨) . وقال الشيخ الألباني رحمه الله : سنده جيد ، انظر: مشكاة المصابيح ٣/١٥٥٧) ح ٥٥٩٥ .

(٣) مجموع الفتاوى (١/١٤٣) .

ثانياً: حكم الاستشفاع به ﷺ بعد موته في الحياة البرزخية:

في هذه الحالة لا يجوز لأنه ﷺ في فترة زمنية مؤقتة من الله ـ عز وجل ـ لا يستطيع أن ينفع أحداً لأنها فترة ما بين الحياة الأولى في الدنيا ، والقيامة ، ومن طلب منه الاستشفاع في هذه الفترة (أي الحياة البرزخية) فهي من الأمور البدعية ولا يوجد دليل على جوازها ، والأصل في العبادات التوقف على ما ورد من دليل شرعي .

فعلى هذا لا يجوز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته ، قبل يوم القيامة ، لا عند قبره ، ولا بعيداً عنه .

ولم يثبت عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين فعل هذا ، مع كونهم أحرص الناس على فعل الخير ، وعلى اكتسابه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : « طلب شفاعته ﷺ ودعائه واستغفاره بعد موته، وعند قبره ليس مشروعاً عند أحد من أئمة المسلمين.. »[١] .

وإذا كان لايجوز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته فكذا غيره من الأنبياء والصالحين بعد موتهم وكذا الملائكة لتعذر إجابتهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « وعلم أنه لم يكن النبي ﷺ بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين ، ولا يستشفعوا بهم لا بعد موتهم ولا في مغيبهم ، فلا يقول أحد : (يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله لنا أن ينصرنا، أو يرزقنا ، أو يهدينا ، وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا رسول الله ادعُ الله لي، سل الله لي، استغفر الله لي ، سل الله لي أن يغفر لي أو يهديني أو ينصرني أو يعافيني »[٢] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١ / ٢٤١) .
(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٦٠ ، ١٦١) .

ثالثاً: حكم الاستشفاع به ﷺ يوم القيامة:

وهذا النوع ثابت للنبي ﷺ وأن الناس يجتمعون ثم يطلبونها منه، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً[1] كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثُهُ الله المقام المحمود»[2].

وسنتكلم عن هذا في مكانه إن شاء الله تعالى.

وهذا الحديث من الأدلة على أن الناس يتوسلون إلى النبي ﷺ من أجل أن يشفع لهم إلى ربهم حتى يقضي بينهم، ويدخل أهل الجنة الجنة، واستشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة هو كاستشفاعهم وتوسلهم به ﷺ حال حياته، فإنهم يطلبون منه يوم القيامة أن يشفع لهم إلى الله، كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره.

والحاصل مما تقدم أن طلب الشفاعة من النبي ﷺ حال حياته جائز وواقع، سواءً كان طلب الشفاعة في الأمور الدنيوية، أو طلب الشفاعة الأخروية، وكذا فإن الناس يطلبون الشفاعة من النبي ﷺ يوم القيامة.

وأمّا طلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد موته، فهي لا تطلب الآن إلا من الله تعالى، كأن يقول الداعي: اللهم ارزقني شفاعة نبيك، اللهم اجعلني ممن تشفّع فيهم نبيك، أو اللهم لا تحرمني شفاعته ونحو ذلك.

---

(١) جُثاً: أي جماعة، الجثا: جَمْع جُثوة بالضم، وهو الشيء المجموع، انظر: النهاية في غريب الحديث والاثر، لابن الاثير (١ / ٢٣٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، باب قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ (٦ / ١٠٨) ح / ٤٧١٨.

المطلب الثالث

حكم الاستشفاع بغير الرسول ﷺ

سبق وأن تكلمنا في حكم الشفاعة في الأمور الدنيوية ، وأنه يجوز للعبد أن يستشفع بأخيه المسلم فيما يقدر عليه ، وأما بعد موته في الحياة البرزخية وهو في قبره فلا يجوز له ذلك مطلقاً ، لأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فمن باب أولى لا ينفع ولا يضر غيره .

أما في يوم القيامة فقد ثبت أن كل إنسان يفر من قريبه ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾ [عبس : ٣٤-٣٧] ، فكل واحد يقول نفسي نفسي كما ثبت في الصحيحين[١] .

وهذا في بداية الموقف عند الحساب ، حتى إذا أدخل الله أهل الجنة الجنة ، فعند ذلك يبدأ أصحاب النار من أهل الذنوب الذين ماتوا على التوحيد يستنجدون ويستشفعون بمن يعرفونهم من أهل الجنة ، فيكون أهل الجنة عند الله ـ عز وجل ـ أشدَّ مُنَا شدةً في أن يشفِّعهم فيهم ويقبل شفاعتهم فيمن يعرفون ، فيأذن بذلك سبحانه وتعالى ، كما قال ﷺ : « ..... **ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله ، في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم . .** »[٢] .

---

(١) رواه البخاري : كتاب التفسير ، باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) ﴾ (٦ / ١٠٥) ح ٤٧١٢ ، وكتاب : أحاديث الأنبياء باب : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ ٤ / ١٦٣ ، ١٦٤) ح ٣٣٤٠ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٨٤) ح ١٩٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) ﴾ (٩ / ١٥٩-١٦٠) ح ٧٤٣٩ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١ / ١٦٩-١٧٠) ح ١٨٣ ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **سلك رجلان مفازة أحدهما عابد والآخر به رهق ، فعطش العابد حتى سقط ، فجعل صاحبه ينظر إليه وهو صريع فقال :والله لئن مات هذا العبد الصالح عطشاً ومعي ماء لا أصيب من الله خيراً ، وإن سقيته مائي لأموتن ، فتوكل على الله وعزم ورش عليه من مائة وسقاه من فضله ، قال :فقام حتى قطع المفازة ، قال : فيوقف الذي به رهق يوم القيامة للحساب فيؤمر به إلى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابد ، فيقول : يا فلان أما تعرفني قال : فيقول من أنت قال : أنا فلان الذي آثرتك على نفسي يوم المفازة ، قال : فيقول بلى : أعرفك قال : فيقول للملائكة قفوا ، ويجيء حتى يقف ويدعو ربه فيقول : يارب قد تعرف يده عندي وكيف آثرني على نفسه ، يارب هبه لي قال : فيقول : هو لك ، ويأخذه بيده فيدخله الجنة** »[1] . وفي رواية : يقول : « **...فشفعني يارب فيه ، قال : فشفعه الله فيه وأخرجه من النار** » .

فحاصل القول في هذا أن الاستشفاع بغير الرسول ﷺ في الحياة الدنيا يجوز بذلك الاستشفاع المشروع الذي ثبت عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

وأما بعد موته عند قبره فذلك من الأمور البدعية الموصلة إلى الشرك والعياذ بالله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله -: « فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم ، وخطاب تماثيلهم ، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب ، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات مالم يأذن به الله تعالى »[2] .

وأما في يوم القيامة فقد ثبت الاستشفاع بغير الرسول ﷺ كما ورد ذلك في سنته ﷺ فهي من الأمور التي يأذن بها الله ـ عز وجل ـ ذلك اليوم لمن يشاء من عباده .

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٢) وقال رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أبي ظلال القسملي وقد وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه غير واحد .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ١٥٩) .

المطلب الرابع
الفرق بين الاستشفاع بفلان والإقسام بحق فلان

الاستشفاع بفلان والإقسام بحق فلان فيه تفصيل .

قال ابن أبي العز الحنفي(١) **- رحمه الله - :** « وأما الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء ، ففيه تفصيل : فإن الداعي تارة يقول : بحق نبيّك أو بحق فلان ، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته ، فهذا محذور من وجهين :

أحدهما : أنه أقسم بغير الله .

والثاني : اعتقاده أنَّ لأحد على الله حقاً » .

ولا يجوز الحلف بغير الله ، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] ، وكذلك ما ثبت عنه ﷺ لمعاذ(٢) رضي الله عنه ، وهو رديفه : « **يا معاذ أتدري ما حقُّ الله على العباد ؟** ، قال الله ورسوله أعلم ، **قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حقهم عليه ؟** ، قال : الله ورسوله أعلم ، **قال : أن لا يُعذِّبهم** »(٣) .

---

(١) هو القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الدمشقي ، ولد عام ٧٣١هـ ، فقيه كان قاضي القضاة بدمشق ، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق،وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقي،توفي عام ٧٩٢هـ بدمشق ، له كتب منها : (التنبيه على مشكلات الهداية في الفقه ، شرح العقيدة الطحاوية) وغير ذلك. انظر: الدرر الكامنة/ لابن حجر (٣ / ٨٧)، شذرات الذهب / لابن العماد(ج٦ / ٣٢٦) المجلد الثالث (وهو عنده باسم محمد بن علي)،الأعلام/ للزركلي(٤ /٣١٣) .

(٢) أبو عبد الرحمن ، معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي ، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام وكان رضي الله عنه أبيض الوجه ، براق الثنايا ، شهد المشاهد كلها وشهد بدراً وهو ابن ٢١ سنة ، وأمّره الرسول عليه الصلاة والسلام على اليمن ومناقبه كثيرة جداً . كانت وفاته بالطاعون في الشام سنة ١٧هـ وقيل ١٨هـ وهو أصح ، وعاش أربعاً وثلاثين سنة ، وقيل غير ذلك ، انظر : الإصابة (٣ / ٤٢٦ ، ٤٢٧) ترجمة رقم / ٨٠٣٧ ، أسد الغابة (٥ / ٢٠٤-٢٠٧) ترجمة رقم / ٤٩٥٣ ، سير أعلام النبلاء (١ / ٤٤٣ وما بعدها) ، تقريب التهذيب (٢ / ١٩١) رقم ٦٧٤٨ .

(٣) رواه البخاري : كتاب التوحيد وغيره ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٩ / ١٤٠) ح / ٧٣٧٣ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١ / ٥٩)ح٣٠ .

فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق ، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير ، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم ، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به ، ولا أن يُسأل بسببه ويتوسل به ، لأن السبب هو ما نصبه الله سبباً .

فإن قيل : فأي فرق بين قول الداعي : (بحق السائلين عليك)، وبين قوله : (بحق نبيك) أو نحو ذلك ؟، فالجواب : أن معنى قوله : (بحق السائلين عليك) [١] ، (إنك وعدت السائلين بالإجابة ، وأنا من جملة السائلين ، فأجب دعائي ، بخلاف قوله : بحق فلان ـ فإن فلاناً ، وإن كان له حق على الله بوعده الصادق ـ فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل . فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي ، وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة ؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء ، وقد قال الله تعالى: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف:٥٥] ، وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ، ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين ،ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم . . .

وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان ، فذلك محذورٌ أيضاً ، لأن الإقسام بالمخلوق لايجوز ، فكيف على الخالق ؟!

وقد قال ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » [٢] .

ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم : يكره أن يقول الداعي : أسالك بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام ، والمشعر الحرام ، ونحو

---

(١) جزء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . ذكره الالباني في : سلسلة الأحاديث الضعيفة ، رقم ٢٤ .

(٢) رواه ابو داود : كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء (٣ / ٥٧٠) ح ٣٢٥١، والترمذي في سننه: كتاب النذور والايمان ، باب كراهية الحلف بغير الله (٤ / ٩٤) ح ١٥٣٥، وأحمد في مسنده (١ / ٦٩) كلهم من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، واخرجه الحاكم في المستدرك : كتاب الأيمان والنذور (٤ / ٣٣١) ح ٧٨١٤ ، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . الحديث صحيح : غاية المرام في تخريج احاديث الحلال والحرام/للالباني برقم٢٥٩ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط الثالثة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

ذلك ، حتى كره أبوحنيفة ومحمد رضي الله عنهما أن يقول الرجل : اللهم إني أسالك بمعقد العزّ من عرشك ،ولم يكرهه أبو يوسف ـ رحمه الله ـ : لما بلغه الاثر فيه [١] .

وتارة يقول : بجاه فلان عندك ، يقول : نتوسل إليك بانبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أنَّ فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فاجب دعاءنا ، وهذا أيضاً محذور ، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته ، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه ، يطلبون منه أن يدعوا لهم ، وهم يؤمنّون على دعائه ، كما في الاستسقاء وغيره [٢] » .

فالحاصل مما تقدم أن الاستشفاع بفلان يقصد به (دعاءه لربه ـ عز وجل ـ وشفاعته وسؤاله ، فهو استشفاع بدعائه كما ورد ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خرجوا يستسقون ، فقد استشفعوا بالعباس رضي الله عنه أي بدعائه) [٣] .

وأما الإقسام بحق فلان فهو من الشرك بالله ـ عز وجل ـ لقوله ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » [٤] .

---

(١) الحديث : موضوع ـ كما بينه الزيلعي في نصب الراية لاحاديث الهداية ٤ /٢٧٣) المكتبة الإسلامية لصاحبها / رياض الشيخ ـ ط الثانية ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق / محمد ناصر الدين الالباني (٢٣٦ـ ١٣٧(. المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط التاسعة (١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م) .

(٣) سبق تخريجه ص٥٥ .

(٤) سبق تخريج الحديث ص ١٣٥ .